

التفسير السياسي لشعر عمر بن أبي ربيعة "قراءة جديدة"

أمل طاهر محمد نصير *

ملخص

تناولت في هذا البحث غزل عمر بن أبي ربيعة، فقرأته قراءة تؤكد طموحات الشاعر السياسية، ورفضه للحكم الأموي القائم آنذاك، إذ خلصت إلى أن غزله كان يندرج في إطار الغزل السياسي الذي يُراد به النيل من الخصوم السياسيين، وذلك من خلال التغزل بنسائهم، وقد كان هذا النوع من الغزل منتشرًا في الحجاز منذ العصر الجاهلي، واستمر في عهد الرسول عليه السلام، ثم شاع وانتشر في العصر الأموي عند عبد الرحمن بن حسان بن ثابت وغيره، واكتمل على يد ابن قيس الرقيات.

هناك أسباب كثيرة دعنتني إلى الأخذ بهذا التفسير، من أهمها: المشهد السياسي في الحجاز آنذاك، وتاريخ أسرة عمر بن أبي ربيعة السياسي، ومخالفته للموروث الشعري التي بدت في محاولته السير في خط غزلي مختلف يظهر من خلال الاستعلاء على الطرف الآخر، وتكرار القصة الغرامية بتفاصيلها المختلفة، وتكرار عبارات وألفاظ بعينها في شعره مثل: الإمارة والأعداء، ونساء البلاط، وابنة العم...، وأخيرا التشابه الكبير بين شعره وشعر ابن قيس الرقيات.

لقد تناولت شعر عمر بن أبي ربيعة من خلال تمهيد ومحاوَر أربعة هي: المشهد السياسي في الحجاز، والذات، والآخر، ومقارنة بين شعر عمر بن أبي ربيعة وشعر ابن قيس الرقيات زعيم الغزل السياسي في العصر الأموي. يمكن لشعر عمر بن أبي ربيعة أن يقرأ قراءات مختلفة، ولكن قراءته في إطار الغزل السياسي ربما كانت الأقرب لطبيعة العصر الأموي وظروفه السياسية.

تمهيد

نال شعر عمر بن أبي ربيعة كثيراً من الاهتمام، فقد ظهرت دراسات عديدة قامت بتفسيره وتحليله، ولكن موقفه من المرأة ما زال بحاجة إلى مزيد من الدرس، فقد خالف ابن أبي ربيعة معظم ما وصل إلينا من الموروث الشعري الخاص بالمرأة الحبيبة، ومن ثم ما زال السؤال مطروحاً عن سبب مخالفته من سبقه، أو محاولته السير في طريق لم يسر فيه شعراء الغزل من قبله، وحتى معاصريه.

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات أعضاء اتحاد الجامعات العربية 2006

* كلية الآداب، جامعة اليرموك، أربد، الأردن.

إن هذه الدراسة لديها فرضية تحاول أن تثبتها من خلال شعر عمر بن أبي ربيعة نفسه؛ أي أنها دراسة نصية، وملخص هذه الفرضية أن كثيراً من شعر ابن أبي ربيعة في المرأة الذي جعل من نفسه فيه المعشوق، والنساء عاشقات له متهاككات عليه، وصور فيه مغامراته بزيارته النساء في بيوتهن ليلاً خفية عن أهلهن، لم يكن من باب الحب الحقيقي للمرأة، أو الإعجاب الحقيقي بها، وإنما كان من باب الغزل السياسي، أو كما يسمى بالغزل الكيدي، أو الهجائي⁽¹⁾، وكلها مسميات لمسمى واحد. وخلاصة القول فيه أن عمر بن أبي ربيعة أراد من وراء غزله هذا النيل من أعدائه السياسيين، أعني بني أمية، والتعويض عما خسر في حلبة السياسة هو وقومه بنو مخزوم بنيل الإمارة من خلال قلوب النساء عامة، ونساء بني أمية خاصة، ومن ثم فإن غزله يندرج في باب الغزل السياسي الذي يتخذ من المرأة وسيلة لإغاية الخصوم السياسيين، والانتقام منهم، والتعبير عن الموقف السياسي الخاص بالشاعر، أو قبيلته، أو حزبه.

إن الدوافع التي دفعت الباحثة إلى افتراض هذه الفرضية مجموعة من الدلائل الأساسية التي برزت في شعر عمر بن ربيعة ودلائل ثانوية خارجة عن شعره لعل من أهمها:

أولاً: محاولة الشاعر مخالفة الموروث الشعري الذي وصل إلينا منذ العصر الجاهلي.

ثانياً: التركيز على ألفاظ بعينها تكررت في شعره، مثل: الأعداء، والإمارة، والثأر، والفضيحة، وابنة العم، وغيرها.

ثالثاً: تكرار عناصر القصة الغرامية عنده بصورة واضحة، إذ بدت مصنوعة، ومخططاً لها مسبقاً.

رابعاً: كثرة المواكب الملكية في شعره.

خامساً: التشابه بين شعره وشعر ابن قيس الرقيات زعيم الغزل السياسي، ومبتدعه في العصر الأموي.⁽²⁾

سادساً: تاريخ أسرته السياسي.

سابعاً: المشهد السياسي في العصر الأموي عامة، وفي الحجاز خاصة.

ثامناً: الأخبار التي وردت في المصادر والمراجع التي تلمح إلى هذه الفرضية، وتوضح أن عدداً من القدماء والمحدثين ربما فطنوا إلى مراد عمر بن أبي ربيعة من غزله.

إن هذه الظواهر مجتمعة تدفعني إلى القول بأن وراء غزل عمر هدفاً سياسياً يفهم من بين السطور، يؤكد أن عمر بن أبي ربيعة لم يكن غائباً عن المشهد السياسي في عصره، لكنه أثر أن يعبر عنه بما يتناسب مع طبيعته المرفهة، وحياته المدللة الناعمة، فكان خياره هذا اللون من الغزل. سأحاول في هذا البحث إثبات ما ذهبت إليه من خلال المحاور الآتية:

1- المشهد السياسي في العصر الأموي

2- الذات

3- الآخر

4- بين عمر بن أبي ربيعة وابن قيس الرقيات

أولاً- المشهد السياسي في الحجاز

بعد اعتلاء معاوية بن أبي سفيان عرش الخلافة، بدأت معالم الأحزاب السياسية المعارضة للحكم الأموي تظهر بوضوح، فكان الحزب الزبيري، والحزب الشيعي، والحزب الخارجي، ولعل الحزب الزبيري هو أكثر الأحزاب السياسية تعصباً للحجاز والحجازيين، فقد أغضبهم نقل السلطة المركزية من الحجاز إلى الشام، والاعتماد على القبائل الشامية اليمانية في الحكم بدلاً من الاعتماد على القبائل المضرية عامة، وأهل الحجاز خاصة. قال عمر في ذلك:

الحين ساق إلى دمشق وما كانت دمشق لأهلنا بلداً⁽³⁾

ومما زاد من غضب الحجازيين وحنقهم على الأمويين غزوهم لهم في عقر دارهم بقرار أموي، وأيدٍ شامية، لاسيما في وقعة الحرّة التي حدثت في زمن يزيد بن معاوية، والتي أدت إلى حرق الكعبة، وقتل عدد كبير من الحجازيين.⁽⁴⁾

إن الأحوال السياسية السابقة أدت إلى أن تطفو الكراهية التي وصلت إلى درجة الحقد في بعض الأحيان على الأمويين على السطح، وقد عبّر الشعراء الحجازيون عن هذه الأحوال من خلال شعرهم السياسي بشكل خاص، وتمثل بعضه فيما سمي بالغزل السياسي، ويقصد به هجاء الخصوم السياسيين من خلال التغزل بنسائهم لا لمحبة لهن، ولكن إحراجاً لخصومهم، وانتقاماً منهم لمواقفهم السياسية، وبسبب ما أعملوه فيهم من حرمان سياسي، وغزو لديارهم، وقتل لأهلهم.

لم يكن الغزل السياسي طارئاً على هذا العصر، بل كان موجوداً منذ العصر الجاهلي⁽⁵⁾، واستمر وجوده في عصر الرسول عليه السلام، حيث شجب كعب الأشراف بنساء المسلمين في قصيدته التي رثى بها قتلى بدر، وقد أدى هذا به إلى القتل بأمر من الرسول عليه السلام، وازداد هذا الشعر ظهوراً في العصر الأموي، إذ تغزل عبد الرحمن بن حسان ابن ثابت بنساء الأمويين، ومنهن رملة بنت معاوية.⁽⁶⁾

اشتهر هذا النوع من الغزل، وتطور على يد ابن قيس الرقيات تطوراً كبيراً بحيث لم يعد هجاء للخصوم السياسيين حسب، وإنما أصبح وسيلة مهمة من وسائل التعبير عن المواقف

السياسية المختلفة، كما أنه استخدمه في المدح السياسي مثلما استخدمه في الهجاء السياسي⁽⁷⁾، كذلك أصبح يدعو شعراء الغزل في العراق لمساندته في هذا المجال، وكأنه يستغيث بهم. قال في قصيدة له متغزلاً بعاتكة بنت يزيد بن معاوية وزوجة عبد الملك بن مروان:

فَمَنْ مَبْلُغُ عَنِّي خَلِيلِي آيَةً عَيِّنَةً أَعْنِي بِالْعِرَاقِ وَمَالِهَا
فَهَلْ مِنْ طَبِيبٍ بِالْعِرَاقِ لَعَلَّهُ يُدَاوِي كَرِيمًا هَالِكًا مَتَهَاكَا⁽⁸⁾

عيينة ومالك هما ابنان لأسماء بن خارجة، وكانا شاعرين غزليين، ولعل الذي دفع ابن قيس الرقيات إلى الاستنجاد بهما أنهما من العراق، مركز المعارضة ضد الدولة الأموية، وأنهما من شعراء الغزل، فعلله أراد من العراق أن تساند الحجاز في حربها ضد الأمويين في مجال الغزل السياسي كما ساندته في الحروب السياسية والعسكرية الأخرى، كل حسب اختصاصه.

ومن شعراء الحجاز الذين قالوا في الغزل السياسي العرجي الذي شيب بأمر محمد بن هشام جيداء، وزوجته جبرة؛ ليحرجه لا لمحبة كانت بينه وبينها⁽⁹⁾. من ذلك قصيدته التي قالها في جيداء ومطلعها:

عوجي علينا ربة الهودج إنك إن لا تفعلي تحرجي⁽¹⁰⁾

مما سبق نخلص إلى أن الغزل استخدم في التعبير عن المواقف السياسية في الحجاز خاصة؛ وبالتالي فلا غرابة أن يقوم عمر بن أبي ربيعة باستخدامه أيضاً مع ما هو معروف من مكانة أسرته وأطماعها في مجال السياسة، فقد كان لها مكانة اجتماعية بارزة في الجاهلية؛ إذ كان بنو مخزوم إضافة إلى هاشم وأمّية أعظم بطون مكة، وأصحاب النفوذ فيها، ويعتقد أن الوليد أخت جده كان يتوقع أن تنزل رسالة الإسلام عليه، ويكون هو النبي المنتظر، فقد ورد عنه قوله: "أينزل على محمد وأترك، وأنا كبير قریش وسيدها"⁽¹¹⁾ ولكن نزول الوحي على محمد عليه السلام قضى على أحلامه، وأحلام أسرته في هذا المجال، وكان والد عمر بن أبي ربيعة يدعى بالعدل؛ أي الذي يعدل قریشاً؛ لأنه كان يكسو الكعبة سنة، وقریش تكسوها سنة أخرى⁽¹²⁾، ومع تجدد الاختلاف على السلطة عادت مطامع بعض الأسر الحجازية العريقة إلى الظهور من جديد، وكان معاوية يعي هذه المطامع، فقام بخنقها بوسائل كثيرة معروفة.⁽¹³⁾

كان قوم الشاعر بنو مخزوم ينافسون بني أمّية التي احتلت مكانهم منذ موقعة بدر.⁽¹⁴⁾ وربما كان هذا السبب في تأييدهم للزبيريين الذين قادوا اتجاهاً قرشياً ينعي على الأمويين استئثارهم بالحكم، سوى الحارث بن خالد، فإنه كان مروانياً.⁽¹⁵⁾ لقد كان عبد الرحمن بن أبي ربيعة شقيق عمر أحد الرؤوس في يوم الحرّة مع حامية المدينة، يدافع عنها بني أمّية، ويردّهم مع المحاصرين، فاقتحم عليه أهل الشام، واقتتلوا حتى عاين الموت، لكنه نجا.⁽¹⁶⁾ وكان أخوه الحارث أيضاً إلى

جانب ابن الزبير، وقد عينه عبد الله بن الزبير عاملاً على البصرة، فكان له مركز عظيم هناك، وكان داعماً لابن الزبير في حربه مع عبد الملك بن مروان، كما كانت ابنة عمر واسمها أمة الواحد زوجة لمحمد بن مصعب بن الزبير.⁽¹⁷⁾

وإذا كان بعض الحجازيين اختار طريق المواجهة العسكرية في إظهار معارضته للسياسة الأموية كما هو الحال عند الشيعة والزبيريين، فقد اختار غيرهم من المعارضين أو غير الراضين عن سياسة الأمويين وسائل أخرى، منها وسيلة الشعر التي كانت وسيلة رائجة في ذلك الزمان رواجاً كبيراً وذلك بالتغزل بنسائهم، وقد كان سلاحاً موجعاً، ودليل ذلك غضب يزيد على عبد الرحمن بن حسان، وهذّر عبد الملك بن مروان دم ابن الرقيات، وربما سجن، ومن ثم قتل العرجي في سجنه حسب ما تذكر بعض الأخبار.⁽¹⁸⁾ وبعد هذا كله يمكن القول إن هذا النوع من الغزل كان منتشرًا في الحجاز بشكل خاص، ومن ثم فلا غرابة إن قام عمر بن أبي ربيعة بانتهاجه، واتخاذها وسيلة للانتقام من الأمويين، ولكن بطريقة خفية لسببين اثنين: الأول أنه لم تكن هناك مواجهة مباشرة بين عمر بن أبي ربيعة وبين الأمويين تتطلب مواجهة واضحة في المقابل في مجال الشعر كما هو الحال مع ابن قيس الرقيات الذي دفع لمجابهة الأمويين بهذا الغزل علناً، وبشكل صريح بعد وقعة الحرة، ومقتل عدد من أفراد أسرته؛ مما قلب حياته رأساً على عقب، وبدأ يهتم بالسياسة ويتصل بزعمائها، وغير نهجه الشعري بحيث انتقل فيه من الغزل الخالص إلى غزل يُوظف في سبيل الإعلان عن مواقفه السياسية. والثاني: طبيعة عمر المرفهة المنعمة ربما جعلته يؤثر السلامة، ويكتفي بالرمز للتعبير عن كراهيته للأمويين وسياستهم من خلال هذا اللون من الغزل، لاسيما أنه رأى بأم عينه مصير من يجهر برأيه في كربلاء والحرة وغيرهما، كما رأى كثيراً من وسائل العذاب والتنكيل⁽¹⁹⁾. قال:

تقول ابنة البركين يوم لقيننا	لقد شاب هذا بعدنا وتنكرا
فمثل الذي عانيت شيب لمتي	ومثل الذي أخفي من الحزن أنكرا
فكم فيهم من سيد قد رزته	وزي شبيه كالبدر أروع أزهر
أولئك هم قومي وجدك لا أرى	لهم شبيه في من على الأرض معشرا ⁽²⁰⁾

إن موقف عمر بن أبي ربيعة في هذا كله "موقف الرجل الذي يرى انتصار خصمه، ثم لا يجد السبيل إلى أن يغالبه هذا النصر، فيستكين وهو يملؤه الغيظ، فيحاول أن يصرف هذا الغيظ في حياة بعيدة عن الجد، حياة فيها مهادنة السلطة مهادنة السليب العاجز، وفيها هذه الخصومة الذاتية، وهذا القلق الداخلي الذي يضطر في نفسه من شرف المكانة، وقصور الواقع من نحو آخر، وهي خصومة لا يفيد معها غير محاولة سلوها، والبعد عنها".⁽²¹⁾ لكن هذا لم يمنعه من

اللجوء إلى الوسائل غير المباشرة، حيث يحقق فيها رضى النفس بالانتقام من الأمويين، والسلامة من انتقامهم معاً.

ثانياً- الذات

إن من عادة الذين يشعرون بالقهر، أو عدم المقدرة على الانسجام مع الآخر، الدفاع عن ذاتهم بوسائل متنوعة، منها محاولة إثبات الذات والانتصار لها، وتأكيد وجودها في كل مناسبة، وبكل الوسائل الممكنة، ولعل القهر والحرمان السياسي للذين عانى منهما أهل الحجاز، ومنهم عمر بن أبي ربيعة قد عبّر عنه هو الآخر بالدفاع عن الذات، وامتلأها وشعورها بالزهو، ولعل أفضل وسيلة ممكنة في هذا المجال هي الفخر بالنفس والأهل والأجداد، وما كان لهم من مكانة، وقد كان عمر يملك كثيراً من مقومات الفخر، بحيث برز شخصاً مهماً وصالحاً للمكانة السياسية التي كان يطمح لها لنفسه أو لأسرته، أو على الأقل تذكير الأمويين بوجوده، ووجود قومه بني مخزوم. لقد كان ابن أبي ربيعة يشعر بذاته بصورة ملحوظة وكبيرة، وذلك من خلال ما يأتي:

أولاً: الفخر بنفسه وقومه فخراً كبيراً، فهو رجل ماجد الحسب يهتز للمجد كما في قوله:

يَا هِنْدُ عَاصِيِ الْوُشَاةِ فِي رَجُلٍ يَهْتَزُّ لِلْمَجْدِ مَا جِدِ الْحَسَبِ⁽²²⁾

وهو من أصل كريم. قال:

فإني من قوم كريمٍ نجارهم لأقدامهم صيغت رؤوسُ المنابر⁽²³⁾

لعل الشطر الثاني من البيت يكشف بصورة كبيرة عن خبايا نفس عمر الطامعة برؤوس المنابر له ولأسرته.

وهو مغامر، وقوي، وصاحب همّة عالية. قال في وصف نفسه في رائيته المشهورة:

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَصَتْ فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصَرُ

أَخَا سَفَرٍ جَوَابِ أَرْضٍ تَقَادَفَتْ بِهِ فَلَوَاتُ فَهْوَ أَشْعَثُ أَغْبَرُ

قَلِيلٌ عَلَى ظَهْرِ الْمَطِيَّةِ ظِلُّهُ سِوَى مَا نَفَى عَنْهُ الرِّدَاءُ الْمُحْبَرُ⁽²⁴⁾

أما قومه فكانوا كذلك مجالا خصباً لشعر الفخر عنده كما مرّ سابقاً، ومما قاله فيهم:

نَقِمْ عَلَى الْحِفَاطِ فَلَنْ تَرَانَا نَشْلُ نَخَافُ عَاقِبَةَ الْخُطُوبِ

وَيَمْنَعُ سِرْبَنَا فِي الْحَرْبِ شَمَّ مَصَالِيْتُ مَسَاعِرِ الْحِرُوبِ

وَلَوْ سُلِّتُ بَنَا الْبَطْحَاءِ قَالَتْ هُمْ أَهْلُ الْفَوَاضِلِ وَالسُّيُوبِ

وَيُشْرِقُ بَطْنُ مَكَّةَ حِينَ نَضْحِي بِهِ وَمَنَاخُ وَاجِبَةٍ الْجُنُوبِ⁽²⁵⁾

لقد كان عمر ينتقل أحياناً من الغزل إلى الفخر، ولعل هذا يحتاج إلى تعليل، إن لماذا كان عمر يجمع بين الغزل والفخر بنفسه وأبائه وأجداده بهذه الصورة في شعره؟ ربما يكون هذا من باب تحدي الأمويين، والتذكير لهم بنفسه وأسرته، وبالحجاز وأهلها وأسرها العريقة، حيث كان يتوقع من الأمويين تذكر ذلك؛ ولما لم يفعلوا، فهو يذكرهم بنفسه وبقومه، وبجذور الأمويين وماضيهم الذي تخلوا عنه كما تخلوا عن وطنهم ومسقط رأسهم، ورؤوس أجدادهم.

لقد فسر عبد القادر القط جمع عمر بن أبي ربيعة بين الغزل والفخر بقوله: " ولعلنا نلمس في هذا الفخر بالشجاعة والبلاء في الحرب والإشارة إلى البطحاء وبطن مكة ما يمكن أن يكون مواجهة غير صريحة لتلك "السلطة" التي نزحت عن البطحاء، وبطن مكة، وسامت أهلها المهانة والخسف".⁽²⁶⁾ إذاً لماذا لا يكون غزله أيضاً من هذا الباب؟ فغزله يمكن أن يُفسر على أنه أكثر من حالة من العبث واللهو والمجون كما يوصف في كثير من الأحيان، وإنما هو محاولة لتذكير سامعيه، لاسيما بني أمية بمكانته الاجتماعية التي نسوها، أو تناسوها، ورفضه لسياستهم التي انتهجوها مع الحجازيين. قال مفتخراً في الرائية ذاتها بعد الانتهاء من ذكر مغامرته مع المرأة التي زارها في بيتها خفية في الليل:

وَقُمْتُ إِلَى عَسْ تَخَوَّنَ نِيهَا سُرَى اللَّيْلِ حَتَّى لَحْمُهَا مُتَحَسَّرُ
وَحَبْسِي عَلَى الْحَاجَاتِ حَتَّى كَانَهَا بَقِيَّةُ لَوْحٍ أَوْ شِجَارٍ مُؤَسَّرُ
وَمَاءٍ بِمَوَاةٍ قَلِيلٍ أُنَيْسُهُ بَسَابِسَ لَمْ يَخْذُثْ بِهِ الصَّيْفُ مَحْضَرُ
بِهِ مُبْتَنَى لِلْعَنْكَبُوتِ كَأَنَّهُ عَلَى طَرْفِ الْأَرْجَاءِ خَامٌ مُنْشَرُ
وَرَدْتُ وَمَا أَدْرِي أَمَا بَعْدَ مَوْرِدِي مِثْلَ اللَّيْلِ أَمْ مَا قَدْ مَضَى مِنْهُ أَكْثَرُ⁽²⁷⁾

لعل الفخر بالنفس بعد بعض مغامراته النسائية له مغزى مهم، إن لماذا كان عمر بن أبي ربيعة يفتخر بنفسه في هذا الموقف بالذات أي بعد انتهائه من المغامرة مباشرة ؟ لأنه حقق مراده بالانتقام من خصومه السياسيين باختراق بيوتهم، ووصوله إلى نسائهم في عقر دارهم، وهم غافلون، وبيان ما كانت عليه هذه النسوة من رغبة فيه، ورضاهن عن كل ما يأتيه من أجل مزيد من تبكيت الخصم وإحراجة؟ أم محاولة منه تأكيد الجانب الآخر من شخصيته، بأنه رجل يملك وجهاً آخر جاداً غير ما يمكن أن تفهم عليه شخصيته من الاقتصار على حياة العبث واللهو، فجاء هذا الفخر ليؤكد حقيقة شخصيته، وهدفه من هذا الغزل، وهذا اللهو؟ أم للسببين معاً؟ إن ربط الشاعر بين الغزل والفخر يمكن أن يؤول تأويلاً يتضمن تلك المواجهة العامة بين الحجازيين والأمويين في الشام.

ومن مظاهر شعوره بذاته تسمية نفسه بالكنية (أبو الخطاب) كثيراً في ديوانه⁽²⁸⁾. قال على لسان صاحبه:

حِينَ قَالَتْ لَهَا أَجِيبِي فَقَالَتْ مَنْ دَعَانِي؟ قَالَتْ: أَبُو الْخَطَّابِ⁽²⁹⁾

وقال:

قَالَتْ ثَرِيًّا لِأَتْرَابٍ لَهَا قُطْفٍ قَمْنٍ نَحِيًّا أَبَا الْخَطَّابِ مِنْ كَثَبِ⁽³⁰⁾

كما كان ينسب نفسه إلى جده المغيرة حيث يقول:

تِلْكَ الَّتِي قَالَتْ لِحَارَاتٍ لَهَا حُورُ الْعُيُونِ كَوَاعِبِ أَتْرَابِ
هَذَا الْمُغِيرِيُّ الَّذِي كُنَّا بِهِ نَهْدِي وَرَبِّ الْبَيْتِ يَا أَتْرَابِي⁽³¹⁾

وقال على لسان إحدى صاحباته أيضاً:

لَيْتَ الْمُغِيرِيُّ الَّذِي لَمْ نَجْزِهِ فِيمَا أَطَالَ تَصَيُّدِي وَطِلَابِي⁽³²⁾

ثانياً- التركيز على إعجاب النساء به إعجاباً كبيراً وملفتاً لم نعهده عند شاعر آخر سوى ما عرف به امرؤ القيس في بعض أشعاره، فالمرأة تحصي الليالي إذا غاب عنها، وهو المعشوق وهي العاشقة، وقد عبر الشاعر عن ذلك كله في ظل أساليب جديدة من الحوار والقصص، "ولا أدري هذا الجديد في شعر عمر بن أبي ربيعة إلى أي مدى ساهم السلطان في نشوئه، أو بتعبير آخر ما هو تأثير تشكل الدولة الأموية في نشوء ظاهرة عمر بن أبي ربيعة بوصفه معبراً عن وضع حاضرتي الحجاز في عصره؟"⁽³³⁾ قال في وصف اهتمام صاحبه به:

وَدَاثٍ وَجَدٍ عَلَيْنَا مَا تَبُوحُ بِهِ تَحْصِي اللَّيَالِي إِذَا غَبْنَا لَنَا عَدَا
تَبْكِي عَلَيْنَا إِذَا مَا أَهْلُهَا غَفَلُوا وَتَكْحَلُ الْعَيْنُ مِنْ وَجْدٍ بِنَا سُهْدَا
حَرِيصَةٌ أَنْ تَكْفُ الدَّمْعُ جَاهِدَةً فَمَا رَقَا دَمْعُ عَيْنَيْهَا وَمَا جَمَدَا⁽³⁴⁾

وهو مصدر سعادتها وسرورها، والمقدم عندها الذي لا يصل إلى منزلته أحد. قال:

مَا وَافَقَ النَّفْسَ مِنْ شَيْءٍ تُسَرُّ بِهِ وَأَعْجَبَ الْعَيْنَ إِلَّا فَوْقَهُ عُمُرُ
فَذَاكَ أَنْزَلَهَا عِنْدِي بِمَنْزِلَةٍ مَا كَانَ يَحْتَلُّهَا مِنْ قَبْلِهَا بَشَرُ⁽³⁵⁾

وتطلب الزيارة، وترسل الرسل في سبيل ذلك. قال:

قَالَتْ لِتُرْبٍ لَهَا مُنْعَمَةٌ كَالرِّيمِ يَقْرُو نَوَاعِمَ الشَّجَرِ

هَلْ مِنْ رَسُولٍ يَكْمِي حَوَائِجَنَا بِحَاجَةٍ تُشْتَهَى إِلَى عُمَرِ
فَجَاءَنِي نَاصِحٌ أَخُو لَطْفٍ فَقَالَ فِي خَفِيَّةٍ وَفِي سِتْرِ
تَقُولُ: إِنَّ لَمْ نَزُرْكَ مِنْ حَذَرٍ (م) الْكَاشِحِ وَالْحَاسِدِينَ لَمْ تَزُرْ⁽³⁶⁾

وهو يبدي تعاليه عليها وتمنعه، ويتناقل في تلبية هذه الزيارة حيث يقول:

لَقَدْ أَرْسَلْتُ نَعْمَ إِلَيْنَا أَنْ ائْتِنَا فَأَحْبَبَ بِهَا مِنْ مُرْسِلٍ مُتَغَضِّبٍ
فَأَرْسَلْتُ أَنْ لَا أَسْتَطِيعَ فَأَرْسَلْتُ تُؤَكِّدُ أَيْمَانَ الْحَبِيبِ الْمُؤَنَّبِ⁽³⁷⁾

ولكن أين عمر من أقرانه الشعراء العرب الذين جعلوا المرأة الحبيبة غاية في العفة والوقار والرزانة والتمنع وما شابه من مثل هذه الصفات، حيث كانت عفة الفتاة وصفاتها المعنوية الغاية الأولى عند الشاعر يدافع عنها دفاعاً مستميتاً، ويجعل الحرمان غاية حياته في سبيل إثبات ذلك.⁽³⁸⁾

قال كثير عزة لعمر منتقداً شعره "والله لقد قلت، فأحسننت في كثير من شعرك! ولكنك تخطيء الطريق، تشبب بها، ثم تدعها، وتشبب بنفسك، أردت أن تنسب بها فنسبت بنفسك، والله لو وصفت بهذا هرة أهلك لكنت أسأت صفتها، أهكذا يقال للمرأة؟ إنما توصف بالخفر، وأنها مطلوبة ممنوعة."⁽³⁹⁾

إن نقد كثير هذا يؤكد كثيراً مما ذهب إليه من أن غزل عمر بن أبي ربيعة كان مستهجناً في عصره، لأنه محاولة للخروج عن الموروث الشعري والأخلاقي، وقدسية العلاقة بين الرجل والمرأة كما أرادها الرجل ربما حتى يومنا هذا رغم ما وصلت له المجتمعات الحديثة من تغير في العلاقات، وانفتاح في علاقة الرجل والمرأة، فلا أدري بعد هذا كيف يمكن أن يقال أن قدراً محدوداً من الحرية والانفتاح في العلاقات في القرن الأول الهجري قد سمح بكل هذا الانقلاب في الموروث الأخلاقي والاجتماعي والأدبي؟ لاسيما مع كون الحجاز موطن ظهور الإسلام الذي ثمن العفة، وفرض الحجاب بأشكاله المختلفة على المرأة في لباسها وعلاقتها بالرجل، ولما يفصل بين مجيء الإسلام، ومولد عمر بن أبي ربيعة سوى سنوات قليلة كان ما زال يعيش فيها عدد كبير من الصحابة والتابعين.

تساءل أحد الباحثين في شعر الغزل في العصر الأموي: "كيف يزعمون أن عمر يتغزل بنفسه؟ من يتغزل بمن في هذه النماذج؟ فهي تنطق بوضوح بأن صواحب عمر هن اللواتي يتغزلن به، وهن اللواتي يتحدثن إلى أترابهن عن حبهن له، وتعلقهن به، أو يصرحن له بهذا الحب، وهذا التعلق".⁽⁴⁰⁾ هذا صحيح، لكن نحن لم نسمع من صاحبات عمر، وسمعنا فقط من عمر، وليس

بالضرورة أن يكون عمر صادقاً في هذه الأقوال، فهو من أراد أن تكون المرأة عاشقة له تتغزل به، وسواء أكان هذا تعويضاً عما خسرته في حلبة السياسة، أم تبيكتنا لأعدائه الأمويين، وإحراجاً لهم بإنطاق نسائهم بالغزل العلني فيه، وملاحقته مع تمنعه عليهن أحياناً، وتجاهله لهن أحياناً أخرى، فإن مثل هذا الشعر قد يجرح الرجل العادي؟ فكيف بخلفاء بني أمية خاصة مع انتشار هذا الغزل بوساطة المغنين في كل أرجاء الدولة؟

قال طه حسين في شعر عمر بن أبي ربيعة: "إنه يصور لنا حياة المرأة العربية المترفة في القرن الأول الهجري، ففي غزله نجد المرأة العربية المترفة واضحة جلية الصورة تتفق حياتها في هذه الدعة، والنعمة اللتين على عفتها وطهارتهما لا تخلوان من لهو ودعابة، ولا من عبث وفكاهة، والمؤرخ الذي يريد أن يدرس الصلة بين الرجال والنساء في العصر الأموي يجب أن يلتبس ذلك عند عمر بن أبي ربيعة، فسيجد منه في شعر هذا الشاعر كل ما أراد".⁽⁴¹⁾ وقال في موضع آخر: "فلها هؤلاء الشبان الأشراف الأغنياء الياثسون وأسرفوا في اللهو، وتعزوا به عن هذه الخيبة التي أصابتهم في الحياة العامة".⁽⁴²⁾ وتابعه شوقي ضيف في كثير من أفكاره، فقال: "إن غزل عمر يعبر عن تطور جديد في الحياة العربية نستطيع أن ننفذ منه إلى معرفة كثير من المحركات النفسية للمجتمع العربي في مكة والمدينة، وما أصابه من تبدل تحت تأثير الحضارة الجديدة، إذ أتاح لنا بواسطة هذا الحوار المفتوح بين السيدات عن جماله وفتنته أن نتعرف إلى كثير من جوانب الحياة المعاصرة خاصة حياة النساء، وما نلن من حظوظ في الحرية".⁽⁴³⁾

وأتساءل كيف يمكن لعمر بن أبي ربيعة أن يكون ممثلاً لمجتمع الحجاز كمل يقول طه حسين؟ صحيح إن المجتمع الحجازي نال قسطاً من التحضر، والانفتاح الاجتماعي، وقدراً من تحرر المرأة بحكم ما توافر لبعض أهلها من غنى مادي كبير، وكثرة الجواري والرقائق، وانتشار دور الغناء ومجالسه، لكن كل هذا يبقى محدوداً، وهو ملحوظ فقط مقارنة مع البيئات الأخرى مثل نجد والعراق، فالأمر ليس كما قد يتوهم من حرية الاختلاط وسهولة العلاقات، والدليل على ذلك شعر عمر نفسه، أليس هو القائل في الرائية نفسها:

إِذَا زُرْتُ نَعْمًا لَمْ يَزَلْ ذُو قَرَابَةٍ لَهَا كُلَّمَا لَاقَيْتُهَا يَتَنَمَّرُ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ أَلِمَ بِبَيْتِهَا يُسِرُّ لِي الشَّحْنَاءَ وَالْبُغْضَ يَظْهَرُ⁽⁴⁴⁾
وفي قوله أيضاً:

فَلَمَّا فَقَدْتُ الصَّوْتَ مِنْهُمْ وَأُطْفِئَتْ مَصَابِيحُ شُبَّتْ بِالْعِشَاءِ وَأَنْوَرُ
وَعَابَ قُمَيْرٌ كُنْتُ أَهْوَى غُيُوبَهُ وَرَوَّحَ رُعْيَانٌ وَنَوَّمَ سُمُرُ
وَحُفْضٌ عَنِّي الصَّوْتُ أَقْبَلْتُ مِشْيَةً الْحَبَابِ وَشَخْصِي خَشِيَةَ الْحَيِّ أَرْوَرُ⁽⁴⁵⁾

فإذا كان هذا موقف قريب الفتاة؟ فكيف سيكون موقف أخيها، أو زوجها مثلاً؟ ولو كانت هذه الحرية متوافرة كما خيل لبعض الدارسين لما اضطر عمر إلى كل هذا الحذر الذي جعله يمشي مشية الأفعى خوفاً وحذراً، ولما اضطر إلى كل هذا التخطيط المسبق والمتقن حتى لا يقع في خطأ يؤدي إلى القبض عليه.

أما عبد القادر القط فقد فسّر غزل عمر بن أبي ربيعة ومغامراته الليلية مع صاحباته بأنه "زو غاية فنية يقصد بها أن يفلح في رواية تلك الحركة المادية والنفسية للزائر العاشق، والمزورة المشدودة بين الحب والوجل، وذلك الحوار الدرامي القريب أحياناً من لغة الحياة، أو لغة النساء المفصح أحياناً عن كثير من الخلجات النفسية الدقيقة، ولم يكن همّ الشاعر أن يصف متعة، أو يتحدث عن شهواته، أو يصف محاسن صاحبتة وصفاً حسيّاً".⁽⁴⁶⁾ وقال في مكان آخر مفسراً لهو عمر وغزله "بأنّ هذا الحديث عن مغامراته لم يكن حديث شاب مفتون بنفسه، نقض تقاليد الغزل في الشعر العربي كما يرى أغلب الدارسين، وإنما كان مثلاً لشباب كثيرين يحبون أحياناً حباً صادقاً، ويلهون أحياناً لهواً بريئاً أو غير برئ، ممثلين بذلك طبيعة الحياة في مجتمع حضري".⁽⁴⁷⁾

أما شكري فيصل فربما كان أقرب إلى الحقيقة في تفسير غزل عمر حيث قال: "إنه نوع من التعويض، وأنه كان صورة للسياسة التي أهملته، فحين فاته أن يكون عبد الملك في الشام وأن تكون له سيطرته لم يفته أن تكون له على هؤلاء النسوة مثل تلك السيطرة التي يحلم بها".⁽⁴⁸⁾

وهناك من الدارسين المحدثين أيضاً من رأى "أنّ شعر عمر بن أبي ربيعة يعطينا فرصة كبيرة لنقرأه في المرأة بدلالات متعددة كلها تخدم المعنى السياسي في شعره".⁽⁴⁹⁾

إنّ هذا الاختلاف في تفسير شعر عمر بن أبي ربيعة مرده إلى التغيير الذي أحدثه عمر في طريقة الغزل بالمرأة، ومخالفته لما ألفناه من شعر، وهي ظاهرة بحاجة إلى تفسير، ولعل بعض الآراء السابقة ألمحت بالتفسير السياسي، أو قالت به صراحة، لكنها لم توله اهتماماً كبيراً، فبقي هذا التفسير يطلّ على استحياء دون التوقف عنده توقفاً كافياً.⁽⁵⁰⁾

ثالثاً- الآخر

تمثّل الآخر في شعر عمر بن أبي ربيعة في ثلاثة عناصر رئيسية هي: المرأة، ومن هم حولها من الأهل أو الصديقات، والأعداء، فأما المرأة فقد رأيناها في حديثه عند ذاته المتضخمة المحبة العاشقة لعمر تلاحقه، وتلهث خلفه، وقد تشقّ ثوبها من أجله، وأضيف هنا قوله فيها يصف سهادها، وقد كاد شوقها له يقتلها:

شاقَ قلبي منزلٌ دثرًا خالفَ الأرواحَ والمطَرًا

شَمَّلاً تُدْرِي إِذَا لَعِبْتَ عَاصِفاً أُنْيَالَهَا الشُّجَرَا
لِلَّتِي قَالَتْ لِجَارَتِهَا وَيَحْ قَلْبِي مَا دَهَى عُمَرَا
فِيمَ أُمْسَى لَا يَكْلَمُنَا وَإِذَا نَاطَقْتُهُ بَسَرَا
أَبِي عُتْبَى فَأُعْتِبُهُ أَمْ بِهِ صَبْرٌ فَقَدْ صَبَرَا
أَمْ حَدِيثُ جَاءَهُ كَذِبٌ أَمْ بِهِ هَجْرٌ فَقَدْ هَجَرَا
أَمْ لِقَوْلٍ قَالَهُ كَاشِحٌ كَاذِبٌ يَا لَيْتَهُ قُبِرَا
لَوْ عَلِمْنَا مَا يَسْرُ بِهِ مَا طَعِمْنَا الْبَارِدَ الْخَصَرَا
وَأَرَى شَوْقِي سَيَقْتُلُنِي وَحَبِيبَ النَّفْسِ إِنَّ هَجَرَا
إِنْ نَوَمِي مَا يَلَأْنُمُنِي أَجْلُهُ يَا أُخْتِ إِنَّ زُكْرَا⁽⁵¹⁾

وقد كان عمر بن أبي ربيعة يقصد إظهار عدم الاكتراث بصاحبتة، وهي تعرف ذلك كما في قوله:

قَالَتْ لِجَارِيَةٍ لَهَا قَوْلِي لَهُ مِنِّي مَقَالَةٌ عَاتِبٍ لَمْ يُعْتَبِ
وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ عَدَدْتُ ذُنُوبَهُ أَنْ سَوْفَ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَمْ يَذْنِبِ
الْمُخْبِرِي: أَنِّي أَحِبُّ مُصَاقِبًا دَانِي الْمَحَلِّ وَنَازِحًا لَمْ يَصْقَبِ
لَوْ كَانَ بِي كَلِفًا كَمَا قَدْ قَالَ لَمْ يُجْمَعُ بَعَارِي عَامِدًا وَتَجَنَّبِي⁽⁵²⁾

ومن حقنا أن نتساءل هنا: من أين جاء عمر بن أبي ربيعة بكل هذه الثقة بالنفس التي تصل إلى درجة الغرور، بحيث صور لنا هذا التهالك الكبير للمرأة عليه، واللهاث خلفه؟ صحيح أن عمر كان يملك كثيراً من الصفات التي يمكن أن تثير إعجاب بعض النساء به، فقد كان حسن الهيئة، من بيت كريم الأصل، وكان غنياً، لكن النساء اللواتي كان يتغزل بهن لم يكن في أغلبهن أقل منه حسباً ومالاً وجمالاً، بل تفوق بعضهن عليه، ومن ثم ما الذي يدعو أولئك النسوة إلى مثل هذا الاهتمام به لاسيما مع ما يعرفن عن عبثه، ولعوبيته، واستعلائه؟

إن عمر يستعلي في هذا الحب؛ ربما لأنه فقد الاستعلاء في الحياة السياسية، وإنه ليتظاهر بالسيطرة والقوة، ويدعيهما، ويهز السيف ليثار على حين ينتهي به الأمر في الواقع، أو في الواقع المتخيل إلى أن تكون عباة مطرف امرأة، وقميصه درعها، ومجنه ثلاث شخوص كاعبان ومعصر كما هو حاله في قصيدته الرائية.⁽⁵³⁾

إن ملاحقة النساء لعمر التي ادعاها في شعره ربما لم تكن من باب التعويض عن الخلافة أو الإمارة التي تراه الأحق بها، فهي تريده، وتلاحقه، وهو لا يكثر بها فحسب، ولكن ربما كانت مزيداً من التبكيت والهزاء للأمويين بأن نساءهم هن اللواتي يلاحقنه، ويضربن له المواعيد، وهو يتمتع عليهن، وقد يتجاهلهن، وكأن عمر يعوّض بتملكه المرأة، واستعلائه عليها عما يلاقيه من استلاب في الحياة العامة. "فقد كانت المرأة شرار عمر الذي أبحر بوساطته في محيط القمع والإزواء، ومن هنا فهم أهمية أن يكون معشوقاً لا عاشقاً، وأهمية أن يكون أميراً مؤمراً".⁽⁵⁴⁾

ومما يلفت النظر - وقد يؤكد ما ذهبت إليه من أن هذه المرأة ربما كانت من نساء الطبقة الحاكمة - أنها تخرج غالباً في موكب ملكي، أو أقرب ما يكون إليه. قال:

أَرْهَقْتُ أَمْ نَوْفَلٍ إِذْ دَعَتْهَا	مُهَجَّتِي مَا لِقَاتِلِي مِنْ مَتَابٍ
حِينَ قَالَتْ لَهَا: أَجِيبِي فَقَالَتْ	مَنْ دَعَانِي قَالَتْ: أَبُو الْخَطَّابِ
أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَاةِ تَهَادَى	بَيْنَ خَمْسِ كَوَاعِبِ أَتْرَابِ
فَأَجَابَتْ عِنْدَ الدُّعَاءِ كَمَا لَبَّى رَجَا	لُ يَرْجُونَ حُسْنَ الثَّوَابِ
وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحِيرَ مِنْهَا	فِي أَدِيمِ الْخُدَيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ
دُمِيَّةٌ عِنْدَ رَاهِبٍ ذِي اجْتِهَادٍ	صَوَّرُوهَا فِي جَانِبِ الْمِحْرَابِ
ثُمَّ قَالُوا: تَحِبُّهَا ؟ قُلْتُ بَهْرًا	عَدَدَ النِّجْمِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ ⁽⁵⁵⁾

إن هذه الفتاة كمعظم نساء عمر بن أبي ربيعة متميزة في جمالها، وفي مكانتها الاجتماعية، وأسأل: إلى من يعود ضمير (الواو) في قوله: (أبرزوها، ثم قالوا تحبها ؟) هل يمكن أن يكون المقصود هنا أهل الفتاة وأقرباؤها؟ فإذا كان هذا مراد الشاعر، فهو يؤكد أنه أراد إحراج خصومه، وتبكيتهم وهجاءهم، خاصة مع تأكيد استجابتها له بتشبيهه هذه الاستجابة بتلبية الحبيج، إشارة إلى شدة حبها وخضوعها. ويشبه ذلك قوله:

قَامَتْ تَرَاءَى عَلَى خَوْفٍ تُشِيعُنِي	مَشَى الْحَسِيرُ الْمَرْجَى جُشَمَ الصَّعْدَا
لَمْ تَبْلُغِ الْبَابَ حَتَّى قَالَ نِسَوْتُهَا	مِنْ شِدَّةِ الْبُهِرِ: هَذَا الْجَهْدُ فَاتَتْدَا
أَقْعَدْنَهَا وَبِنَا مَا قَالَ نُو حَسَبِ	صَبُّ بَسْلَمِي إِذَا مَا أُقْعِدْتُ قَعْدَا
فَكَانَ آخِرَ مَا قَالَتْ وَقَدْ قَعَدْتُ	أَنْ سَوْفَ تُبْدِي لَهْنِ الصَّبْرِ وَالْجَلْدَا ⁽⁵⁶⁾

وهي من نساء المواكب أيضاً كما في قوله:

قُلْتُ ارْكَبُوا نَزْرَ اللَّيِّ زَعَمْتَ لَنَا
 بَيْنًا نَسِيرُ رَأَتْ سَمَامَةً مَوْكِبِ
 قَالَتْ لِجَارَتَيْهَا: انْظُرِي هَا مِنْ أُولَى
 قَالَتْ أَبُو الْخَطَّابِ أَعْرِفُ زِيَّهَ
 قَالَتْ: وَهَلْ؟ قَالَتْ نَعَمْ فَاسْتَبْشِرِي
 قَالَتْ: لَقَدْ جَاءَتْ إِذَا أُمْنِيَّتِي
 مَا كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَلِمَ بِأَرْضِنَا
 فَإِذَا الْمُنَى قَدْ قُرْبَتْ بِلِقَائِهِ
 أَلَا نُبَالِيهَا كَبِيرَ بِلَاءِ
 رَفَعُوا ذَمِيلَ الْعِيسِ بِالصُّخْرَاءِ
 وَتَأْمَلِي مَنْ رَاكِبُ الْأَدْمَاءِ
 وَرَكُوبُهُ لَا شَكَّ غَيْرَ مِرَاءِ
 مِمَّنْ يُحِبُّ لُقْيَهُ بِلِقَاءِ
 فِي غَيْرِ تَكْلِفَةٍ وَغَيْرِ عَنَاءِ
 إِلَّا تَمْنِيَهُ كَبِيرَ رَجَاءِ
 وَأَجَابَ فِي سِرِّ لَنَا وَخَلَاءِ⁽⁵⁷⁾

لقد تكررت كلمة (موكب) كثيراً في ثنايا ديوان عمر بن أبي ربيعة، صحيح أن المواكب كانت منتشرة في الحجاز بين عليّة القوم، لكن يمكن لهذه الكلمة أن تشير أيضاً إلى أن المرأة صاحبة الموكب كانت من نساء الأمويين لاسيما مع إشاراتة الكثيرة إلى معرفة الفتاة الأكيدة به، والتصريح بأمنيتها بلقائه، بل هذا التأكيد من جانب الشاعر على التهافت الكبير من قبل المرأة على لقائه يشير إلى أن عمر كان يريد كشف رغبات الفتاة، والكشف عن صفات لديها لم تكن مما يطيق الرجال؛ مما قد يعزز فرضية أن الشاعر كان يريد إحراج خصومه أهل هذه الفتاة التي انتهت إليها فروع قريش، كما قال في موضع آخر:

يَا ابْنَةَ الْخَيْرِ وَالسَّاءِ وَقَرَعِ
 فَإِنَّكَ انْتَهَتْ فُرُوعُ قُرَيْشِ
 هِيَ مِنْ بَيْتِ مَلِكٍ. قَالَ:
 غُلِقَ الْقَلْبُ مِنْ قُرَيْشٍ ثَقَالاً
 رَبَّةٌ لِلنِّسَاءِ فِي بَيْتِ مَلِكٍ
 جَدُّهَا حَلَّ نَزْوَةَ الْأَحْسَابِ⁽⁵⁸⁾
 ذَاتَ دَلِّ نَقِيَّةِ الْأَثْوَابِ
 جَدُّهَا حَلَّ نَزْوَةَ الْأَحْسَابِ⁽⁵⁹⁾

وغالبا ما كانت صاحبة عمر بن أبي ربيعة غنية جدا ومترفة، والغنى ليس بالضرورة أن يجعلها من الأمويين؛ لأنه كان منتشراً خارج بيوتهم، لاسيما في الحجاز لكنه يمكن أن يكون مؤشراً مساعداً على أنها منهم. وهي من ساكنات دمشق في مكان صعب لا يمكن الوصول إليها.

قال على لسان إحدى صاحباته:

بَاعَ الصَّدِيقُ بُوْدً غَائِبَةً
 بِالشَّامِ فِي مَتَمَنَعٍ صَعِبٍ⁽⁶⁰⁾

ومن الصور الملكية الأخرى أن هؤلاء النسوة من قاطنات بلاط الملوك. قال:

وبنفسى ذوات خلق عميم هن أهل البها وأهل الحياء
قاطنات دور البلاط كرام لسن ممن يزور في الظلماء⁽⁶¹⁾
وهو مع كل هذا يستعلي عليها استعلاء كبيراً:

إِنَّ أَهْوَى الْعِبَادِ شَخْصاً إِلَيْنَا وَالَّذِ الْعِبَادِ نَعْمًا وَدَلًا
لَّتِي بِالْبَلَاطِ أَمْسَتْ تَشْكَى رَمَدًا لَيْتَهُ بَعِثَنِي حَلَاً
أَرْسَلْتُ نَحْوِي الرُّسُولَ لِأَلْقَا هَا فَأَرْسَلْتُ عِنْدَ ذَاكَ بِأَنْ لَا
لَسْتُ أَسْطِيعُ لِلرُّسُولِ وَأَيَّقَدُ تُ يَقِينًا بِلَوْمِهَا حِينَ وَلَى
رَجَعْتُهُ إِلَيَّ لَمَّا أَتَاهَا وَبِأَيْمَانِهَا عَلَيَّ تَأَلَّى⁽⁶²⁾

فهذه الفتاة إذا قرشية، بل انتهت إليها فروع قريش، وهي من بيت ملك، تسكن بيوت البلاط في الشام، فمن يمكن أن تكون إن لم تكن أموية؟

ومن النساء اللواتي تغزل بهن عمر (أم البنين) وهذا الاسم شائع عند الأمويين، ولعلها زوج الوليد بن عبد الملك، وهي ذاتها التي تغزل بها ابن قيس الرقيات في قصيدته المشهورة التي دفعت عبد الملك بن مروان إلى هدر دمه كما سيأتي.⁽⁶³⁾

ومن النساء اللواتي تغزل بهن عمر أيضاً فاطمة بنت عبد الملك، فقد ذكرت الأخبار أنه لما قدمت فاطمة بنت عبد الملك بنت مروان مكة، جعل عمر بن أبي ربيعة يدور حولها ويقول الشعر، ولا يذكرها باسمها فرقاً من الحجاج؛ لأنه كان كتب إليه يتوعده إن ذكرها أو عرّض باسمها، فلما قضت حجّها، وارتحلت قال قصيدته التي مطلعها:

كِدْتُ يَوْمَ الرَّحِيلِ أَقْضِي حَيَاتِي لَيْتَنِي مَتُ قَبْلَ يَوْمِ الرَّحِيلِ⁽⁶⁴⁾

ومما يؤكد ما ذهب إليه أن رجال البلاط الأموي كانوا يتخوفون من عمر بن أبي ربيعة بالذات، أنهم كانوا يرسلون بتهديداتهم إليه مسبقاً مع أن الحجاز كان فيها عدد كبير من الشعراء معظمهم من شعراء الغزل.

وإلى فاطمة هذه ينسب قول عمر:

أَوَمْتُ بِعَيْنَيْهَا مِنَ الْهَوْدَجِ لَوْلَاكَ فِي ذَا الْعَامِ لَمْ أَحْجَجْ
أَنْتَ إِلَى مَكَّةَ أَخْرَجْتَنِي وَلَوْ تَرَكْتَ الْحَجَّ لَمْ أَخْرُجْ⁽⁶⁵⁾

وفيهما أو في رملة بنت مروان بن الحكم، وكلتاها من بني أمية. قال:
لَعَمْرِي لَقَدْ نِلْتُ الَّذِي كُنْتُ أَرْتَجِي وَأَصْبَحْتُ لَا أَخْشَى الَّذِي كُنْتُ أَخْذَرُ
فَلَيْسَ كِمَثْلِي الْيَوْمَ كِسْرَى وَهَرَمُ وَلَا الْمَلِكُ النُّعْمَانُ مِثْلِي وَقَيْصَرُ⁽⁶⁶⁾

فهو في هذا الشعر يوحي للسامع بعقدة الملك التي تمكنت من نفسه بصورة كبيرة، فليس تعداد أسماء هؤلاء الملوك جميعا من باب العبث واللهو، ولعل مقارنة المتعة التي حصلها من علاقته بهذه الفتاة الأموية بما كان يمتلكه هؤلاء الملوك جميعا، يكشف عن كثير من خبايا نفس عمر الناقمة على الأمويين، والمتطلعة إلى ما بين أيديهم من ملك.

وهناك قصيدة أخرى مهمة يقال إنه قالها في فاطمة بنت عبد الملك أيضا يحذو فيها حذو ابن قيس الرقيات سأرجى الحديث عنها لحين عقد المقارنة بين الشعارين.
ومن نساء بني أمية اللواتي تغزل عمر بهنّ بذكر الاسم صراحة أم الحكم وهي أخت لمروان بن الحكم، وقد قال فيها:

صَاحَ إِنِّي شَفَنِي طَوْلُ السَّقَمِ وَصَبَا الْقَلْبُ إِلَى أُمِّ الْحَكَمِ⁽⁶⁷⁾

فإذا صحّ ما ورد في شعر عمر بن أبي ربيعة، وصحت الأخبار التي واكبت شعره أو شيء منها، فإنه يمكن القول إنّ غزل عمر بن أبي ربيعة كان في معظمه من باب الغزل السياسي.

وصاحبة عمر لا تكتفي بالتعاطف معه، والرغبة بمساعدته ضد أعدائه فحسب، ولكنها تكثر من الدعاء له، والحرص على إرضائه، وتفديه بكل ما هو عزيز وغالٍ، ولعل هذا كله يصبّ في الهدف من وراء غزله، ويؤكد فكرة الاستعلاء عنده التي دعت هي وغيرها من الظواهر المشابهة في غزله عدداً من الدارسين إلى وصفه بالنرجسية؛ إذ رآه الدكتور جبرائيل جبّور نوعاً من الفتنة بالنفس، معللاً ذلك بما يكاد يشبه النرجسية وعقدة أوديب.⁽⁶⁸⁾ وهو على أية حال تفسير معقول يتناسب مع طبيعة علاقة عمر بن أبي ربيعة بالمرأة، واستعلانه الكبير في هذه العلاقة، لكن التفسير السياسي ربما كان الأقرب إلى طبيعة العصر، وحال الشعر فيه؛ لأنّ عمر إن أردنا الدقة ليس ببعيد عن السياسة، بل هو وثيق الصلة بها؛ لأنه كان أثراً لها في هذه الصورة السلبية كما كان شعراء الشام أثراً لها في الصورة الإيجابية ... إنّ غزل عمر بن أبي ربيعة في كثير منه هو انعكاس آخر للحياة السياسية، فليس عمر إذاً من الذين انقطعوا عن السياسة، بمعنى أنهم لم يفكروا فيها، ولكنه متصل بها أشدّ الاتصال من حيث أراد أن ينقطع عنها، ومتأثر بها من حيث أراد أن ينجو من أثرها، وخاضع لها، ولكنه لم يكن خضوع الانقياد، وإنما هو خضوع الذي أفلت منها من نحو، واستجاب لإيحائها من نحو آخر.⁽⁶⁹⁾

ومما يقوي الاعتقاد بأن عمر كان يعاني حالة من الحرمان السياسي يعبر عنه بنوع من هذا الغزل تكراره للفظ الإمارة⁽⁷⁰⁾ ومشتقاتها التي قد تعني السلطان في شعره من مثل قوله:

فَأَنْتَ أَبَا الْخَطَّابِ غَيْرَ مُدَافِعٍ عَلَيَّ أَمِيرُ مَا مَكَثْتَ مُؤَمَّرٌ⁽⁷¹⁾

وقال:

فإِنَّكَ عِنْدِي فِيمَا اسْتَهَيْتَ حَتَّى تَفَارِقَ رَحْلِي أَمِيرٌ⁽⁷²⁾

وكذلك تكرار عبارة (فضحتني، أو أردت عمداً فضيحتنا): تشي بأن فكرة الفضيحة كانت موجودة بقوة في عقله كما كانت موجودة في شعره، وهذا يؤكد أنه كان مدركاً لخطورة ما كان يقوم به من مغامرات، والتأثير السلبي لهذه المغامرات على الفتاة، ورفض المجتمع لها جملة وتفصيلاً. قال:

فَلَمَّا دَنَا الإِصْبَاحَ قَالَتْ فَضَحْتَنِي فَقُمَ غَيْرَ مَطْرُودٍ وَإِنْ شِئْتَ فَازْدَرِ⁽⁷³⁾

ومن العبارات التي أكثر عمر بن أبي ربيعة من تكرارها في شعره: (يا بن عمي)، فقد كرر عمر هذه العبارة على لسان المرأة كما كرر عبارة (يا ابنة العم) على لسانه نفسه، ولا أدري إن كانت هذه العبارة مجرد عبارة شائعة في المجتمع الحجازي، أم أنها محملة بمعنى القرابة التي نفهمها بمجتمعاتنا المعاصرة، ولعل الاحتمال الثاني يؤكد قول عبد الملك له في عتابه إياه على شعر قاله في نساء قريش: "أما كان لك في بنات العرب مندوحة عن بنات عمك؟"⁽⁷⁴⁾ فإن كان الأمر كذلك، فلعلها تكون سبباً آخر يساند ما ذكرته من أسباب لاعتقادي بأن هذه المرأة من بني أمية بحكم علاقة القرى بين بني أمية وبني مخزوم. قال على لسانها:

يَا ابْنَ عَمِّي فَدَتَكَ نَفْسِي إِنْ أَتَقِيَ كَاشِحاً إِذَا قَالَ جَاراً⁽⁷⁵⁾

وقال:

إِحْدَى بُنَيَاتِ عَمِّي دُونَ مَنْزِلِهَا أَرْضُ بَقِيعَانِهَا الْقَيْصُومُ وَالشَّيْخُ⁽⁷⁶⁾

إن تكرار كلمة، أو عبارة ما عند الشاعر لا يأتي من فراغ، بل لا بد أن يكون له غاية، فالتكرار ظاهرة من الظواهر الأسلوبية المهمة في الكشف عن كثير من القضايا المخبوءة داخل نفس الإنسان وفي عمقها، فيكشف بالتالي عن موقفه الانفعالي، إذ إن تكرار كلمة ما، يعكس طبيعة علاقة الشاعر بها، وبالتالي، فإن للتكرار جانباً وظيفياً مهماً، فهو يضيء النص، ويفتح أبوابه الموصدة؛ فالقارئ يستطيع من فلتات لسان الشاعر أن يفهم كثيراً من خبايا نفسه، فهل كان عمر يتطلع إلى الإمارة، أو يشتهيها بصورة من الصور، فلما لم تتحقق له في مجال السياسة نشدها

على قلوب النساء اللواتي كنّ يسارعن إلى تنصيبه أميراً على قلوبهن، وبيوتهن، وبيوت أهليهن؟ أم أراد أن تأتيه اعترافاً وتطبيقاً من نساء بني أمية إمعاناً في قهر الأمويين والانتقام منهم؟

أما بالنسبة للقصة التي كان ينسجها عمر في علاقاته مع صاحباته فهي متشابهة في كثير من خيوطها العريضة، وحتى في تفاصيلها الدقيقة أحياناً، فهو يقرر زيارة الفتاة في بيتها ليلاً، فيخطط لذلك جيداً، ويمتشق سيفه، ويحتاط للأمر بكل وسائل الحيلة الممكنة، وكأنه داخل لموقعة حربية، وبعد أن تنهياً الظروف المناسبة، ويأمن على نفسه ممن هم حول الفتاة من أهل وأقارب، يدخل على الفتاة في خدرها، فتبدي في البداية خوفاً واستغراباً، وتتكرر هنا عبارة (أردت فضيحتنا)، أو إحدى مشتقات الكلمة من قبل الفتاة؛ مما يشير إلى الغرض الباطن الذي ربما قصده الشاعر من وراء هذه الزيارة، وبعد ذلك يوضح أن خوفها واستغرابها مصطنعان، أو على الأقل وقتيان، إذ سرعان ما تبدي الرضى بردّ التحية، أو ما شابه ذلك، بعدما تطمئن إلى أن أحداً لم يره وهو قادم لزيارتها، وهذا يؤكد ما ذهبت إليه من قبل من تشدد المجتمع تشدداً كبيراً فيما يخص العلاقة بين الرجل والمرأة، وبعدها يقضي معها الليل أو جزءاً منه يفاجأ ببزوغ الفجر، وقد بدأ الناس يتأهبون للحياة اليومية، فيشعران بالخوف والحرج، ولكن سرعان ما يجدان حلاً، وغالباً ما يكون بمشورة الفتاة نفسها، فيخرج من ورطته سالماً معافى، بل بطلاً منتصراً، وقد أشفى غليل صدره، وإذا كان هذا اللقاء في الخلاء تحاول هي محو آثارهما بثيابها المرفهة التي تشير إلى أنها من أسرة عريقة. قال في مثل هذا:

فَجِئْتُ أُمُشِي وَلَمْ يَغْفِبِ الْأَلَى سَمَرُوا	وَصَاحِبِي هُنْدُ وَإِنِّي بِهِ أَثْرُ
فَلَمْ يَرَعُهَا وَقَدْ نَضَتْ مَجَاسِدَهَا	إِلَّا سَوَادُ وَرَاءَ الْبَيْتِ يَسْتَتِرُ
فَلَطُمْتُ وَجْهَهَا وَاسْتَنْبَهْتُ مَعَهَا	بَبِيضَاءِ أَنْسَةٍ مِنْ شَأْنِهَا الْخَفَرُ
مَا بَالُهُ حِينَ يَأْتِي أَخْتُ مَنَزَلَنَا	وَقَدْ رَأَى كَثْرَةَ الْأَعْدَاءِ إِذْ حَضَرُوا
لَشِقْوَةٌ مِنْ شَقَائِي أَخْتُ غَفَلْتَنَا	وَشَوْمُ جَدِّي وَحِينَ سَاقَهُ الْقَدَرُ
قَالَتْ أَرَدْتُ بَذَا عَمْدًا فَضِيحَتْنَا	وَصَرَمَ حَبْلِي وَتَحْقِيقَ الَّذِي ذَكَرُوا
هَلَّا دَسَسْتَ رَسُولًا مِنْكَ يُعْلِمُنِي	وَلَمْ تَعْجَلْ إِلَى أَنْ يَسْقُطَ الْقَمَرُ
فَقُلْتُ دَاعٍ دَعَا قَلْبِي فَأَرْقَهُ	وَلَا يَتَابِعُنِي فَيْكَمْ فَيَنْزَجِرُ
فَبِتُّ أَسْقَى عَتِيقَ الْخَمْرِ خَالَطَهُ	شَهْدُ مُشَارٍ وَمِسْكَ خَالِصٍ ذَفِرُ
فَبِتُّ الْأَثْمَهَا طَوْرًا وَيَمْنَعُنِي	إِذَا تَمَائِلَ عَنْهُ الْبَرْدُ وَالْخَصَرُ

حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ وَلَّى قَالَتَا زَمْرًا قوما بغيثِكُما قَدْ نَوَّرَ السَّحَرُ
فَقُمْتُ أَمْشِي وَقَامْتُ وَهِيَ فَاتِرَةٌ كَشَارِبِ الْخَمْرِ بَطَى مَشْيُهُ السَّكْرُ
يَسْحَبَنَّ خَلْفِي ذِيُولَ الْخَرِّ أَوْنَةً وَنَاعِمَ الْعَصَبِ كَيْلَا يُعْرِفَ الْأَثَرُ⁽⁷⁷⁾

وحسب اعترافات عمر نفسه في شعره لم تكن علاقاته بريئة أبداً، وأتساءل كيف يمكن لشوقي ضيف أن يقول: "وهي عنده مغامرات لا تتعدى اللقاء والمتعة بالحديث".⁽⁷⁸⁾ علماً بأن مثل هذه المغامرات غير البريئة يعجّ به ديوانه⁽⁷⁹⁾ وقد تابع كثير من الدارسين قول شوقي ضيف في هذا القول، فأشار بعضهم إلى أن ما قيل عن عمر بن أبي ربيعة في هذا المجال هو "نتيجة للخلط بين شعره والأسمار الواردة في حياته".⁽⁸⁰⁾ وهذا الكلام غير دقيق؛ لأن شعره يوضح ذلك وليس الأسمار فقط.

نالت قصيدة عمر الرائية شهرة واسعة، بل كانت أشهر قصائده على الإطلاق، وفيها تبدو قصته الغرامية مكتملة أشد الاكتمال، فبينما ابن عباس في المسجد الحرام وعنده نافع بن الأزرق، وناس من الخوارج يسألونه، إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة في ثوبين مصبوغين موردين أو مصصرين حتى دخل وجلس، فأقبل عليه ابن عباس، فقال أنشدنا. فأنشده الرائية حتى آخرها، فأقبل عليه نافع بن الأزرق، فقال: الله يا ابن عباس! إنا نضرب إليك أكباد الإبل من أقاصي البلاد نسألك عن الحلال والحرام، فتتناقل عنا، ويأتيك غلام مترف من مترفي قریش فينشدك.... الخ. وكان بعد ذلك كثيراً ما يقول: هل أحدث هذا المغيري شيئاً بعدها؟⁽⁸¹⁾

كيف يكون هذا موقف ابن عباس شيخ المفسرين، وقد قيل في شعر عمر: ما عصي الله بشيء كما عصي بشعر عمر بن ربيعة؟ أزهوا بهذا الشاعر القرشي حيث به اكتملت لقریش أسباب السيادة، إذ كانت العرب تقر لها بالتقدم عليها في كل شيء إلا في الشعر حتى كان عمر، قأقرت لها.⁽⁸²⁾، أم لأن ابن عباس فهم مراد عمر في قصيدته، فوجد عنده رضاء كبيراً مثل أكثر أهل الحجاز الذين كرهوا الأمويين وسياستهم.

ليس ابن عباس وحده الذي كان معجباً بشعر عمر، فقد ورد عن الزبير بن بكار أنه قال: "أدركت مشيخة من قریش لا يزنون بعمر بن أبي ربيعة شاعراً من أهل دهره في النسيب، ويستحسنون منه ما كانوا يستقبحونه من مدح نفسه، والتحلي بمودته، والابتيار بشعره، والابتيار أن يفعل الإنسان الشيء فيذكره، ويفخر به".⁽⁸³⁾ وقد قيل: "أنشد عمر هذه القصيدة طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري وهو راكب، فوقف، وما زال شائعاً ناقته حتى كتبت له".⁽⁸⁴⁾

ويمكن التوقف عند القصة التالية التي ذكرها الأصفهاني حيث يسمع أحدهم شعر عمر، ويسأل أن يكتبه، فيفعل، فكان يكتب ويده ترعد من الفرح.⁽⁸⁵⁾ يمكنني أن أفهم حب الناس لشعر

عمر، ورغبتهم في سماعه وتدوينه، لكن لا يمكنني أن أفهم لماذا كانت يده ترتعد من الفرح ؟ ألا يمكن أن يُفسر هذا الفرح في باب أن شعر عمر بن أبي ربيعة كان يحقق مراد الحجازيين في الانتقام من بني أمية ومضايقاتهم؟

إن من يقرأ رائية عمر يلاحظ كثيراً من الإشارات التي لا يمكن أن تصدر عن عاشق حقيقي، بل عن شاعر ناقم. منها:

أولاً- إن الشاعر بمجرد أن خرج من عند صاحبتة نسيها متجاهلاً موعداً آخر ضربته للالتقاء به ثانية، مع أنه بذل في سبيل الوصول إليها جهداً كبيراً. قال:

فَأَخْرَعُهُدْ لِي بِهَا حَيْثُ أَعْرَضْتُ وَلَاحَ لَهَا خَدُ نَقِيٍّ وَمَحْجِرُ
سَوَى أَنَّنِي قَدْ قُلْتُ يَا نَعْمَ قَوْلَةً لَهَا وَالْعِتَاقُ الْأَرْحِيَّاتُ تَزَجُرُ
هَنِيئاً لِأَهْلِ الْعَامِرِيَةِ نَشْرَهَا الـ لَذِيذُ وَرَيَّاهَا الَّذِي أَتَذَكَّرُ⁽⁸⁶⁾

وقال من قبل على لسان الفتاة من القصيدة ذاتها:

فَلَمَّا تَقَضَى اللَّيْلُ إِلَّا أَقْلَهُ وَكَادَتْ تَوَالِي نَجْمُهُ تَتَغَوَّرُ
أَشَارَتْ بِأَنَّ الْحَيَّ قَدْ حَانَ مِنْهُمْ هُبُوبٌ وَلَكِنْ مَوْعِدُ مِنْكَ عَزُورُ⁽⁸⁷⁾

لقد ذكر عمر في أثناء زيارته لصاحبتة أنها طلبت منه موعداً آخر جديداً في مكان يدعى عزور لكنه عاد وأكد في آخرها أنه لم يرها بعد ذلك؛ أي أنه لم يذهب لذلك الموعد، ومثل هذه الإشارة لا تعدّ إيجابية في حق صاحبتة، وهو مما لم نتعوده في شعر الغزل إذ كان الشاعر هو الذي يطلب المواعيد، ويسعى إلى تحقيقها في حين كان يصور المرأة متمنعة بخيلة، لقد كان من الممكن لعمر أن لا يأتي على ذكر الموعد الجديد إذا لم تسنح له الفرصة لتحقيقه لكن ذكره إياه، وتأكيداً على عدم تلبيةه ربما كان رغبة منه في إظهار عدم اهتمامه بتحقيق رغبة الفتاة في موعد جديد مما قد يشير إلى أن مراده من هذا الغزل يختلف عن مراد غيره.

ثانياً- لقد قصد التأكيد أن هذه المرأة حرة، وأنها ربما كانت من الطبقة العليا حيث كانت أختاها حرتين تلبسان الخزّ والدمقس. قال:

فَقَامَتْ إِلَيْهَا حُرَّتَانِ عَلَيْهِمَا كِسَاوَانِ مِنْ خَزٍّ دِمَقْسٍ وَأَخْضَرُ⁽⁸⁸⁾

ثالثاً- الإشارة إلى أن الأختين لم تكونا أقل منها نشاطاً في العلاقات الغرامية، (والأمر للأمر يقدر)، وكأنه قصد إلى التشكيك بأخلاق الأسرة جميعاً حيث قال:

فَقَالَتْ لِأَخْتَيْهَا أَعِينَا عَلَى فَتَى أَتَى زَانِراً وَالْأَمْرُ لِلْأَمْرِ يُقَدَّرُ

فَأَقْبَلَتَا فَارْتَاعَتَا ثُمَّ قَالَتَا أَقْلِي عَلَيْكَ اللَّوْمُ فَالْخُطْبُ أَيْسَرُ⁽⁸⁹⁾

هذه بعض الملاحظات التي يمكن لقارئ رائية عمر بن أبي ربيعة أن يلاحظها، وهي جميعها ليس مما تعود الشاعر العربي أن يتناولها في علاقته مع صاحبتة التي كان يصورها على درجة عالية من الخفر والحياء والرزانة لكن أن يصورها كما فعل عمر في رائيته فهذا مما لم نتعوده في تراثنا الشعري.

أما الطرف الثالث من الآخر في شعر عمر، فهم الأعداء⁽⁹⁰⁾، وهؤلاء جزء مهم تعامل معه الشاعر في شعره بصورة مهمة وملحوظة، بحيث كرر هذه الكلمة كثيراً، وغالباً ما كانوا من أهل الفتاة. قال:

قَالَتْ لِجَارَتِهَا عِشَاءً إِذْ رَأَتْ نَزَةَ الْمَكَانِ وَغَيَّبَةَ الْأَعْدَاءِ⁽⁹¹⁾

وقال:

وَتَلْدُرِي شَهْرًا أُرِيدُ لِقَاءَهَا حَذَرَ الْعَدُوِّ بِسَاحَةِ الْأَحْبَابِ⁽⁹²⁾

وقد كان بينه وبين أهلها ثار، وقد حان وقت الأخذ به، والانتقام منهم. كما قال في رائيته:

فَلَمَّا رَأَتْ مَنْ قَدْ تَنَبَّهَ مِنْهُمْ وَأَيَقَظَهُمْ قَالَتْ أَشِرُ كَيْفَ تَأْمُرُ

فَقُلْتُ: أَبَادِيهِمْ فَمَا أَفُوتُهُمْ وَإِذَا يَنَالُ السَّيْفُ ثَارًا فَيُثَارُ⁽⁹³⁾

الثار ممن؟ ولماذا؟ إن عمر لم يفصح عن سر هذا العداء بينه وبين أهل الفتاة لكن يمكن لي أن أفهمه في ظل ما سبق بأنه العداء بين أهل الحجاز والأمويين، لا سيما وأننا لا نعرف للشاعر أعداء غيرهم.

وقد يأتي الاعتراف على لسان المرأة بأن أهلها أعداء للشاعر. قال:

أَلَمْ تَرَ أَنَّكَ مُسْتَشْهَدٌ وَأَنْ عَدُوَّكَ حَوْلِي كَثِيرُ

فَإِنْ جِئْتَ فَأَتِ عَلَى بَغْلَةٍ فَلَيْسَ يُوَاتِي الْخَفَاءَ الْبُعِيرُ⁽⁹⁴⁾

إن مثل هذا الأسلوب كان لدى ابن قيس الرقيات، فقد كان يجعل الفتاة الأموية التي يتغزل بها هي التي تعترف بأخطاء أهلها بحق الشاعر وأهله، وأنها ترغب بمساعدته.⁽⁹⁵⁾

وقد ترسل المرأة له رسولا تحذره من أهلها. قال:

دَسْتُ إِلَيَّ رَسُولًا لَا تَكُنْ فَرَقًا وَاحْذَرْ وَقِيَّتَ وَأَمْرُ الْحَاظِمِ الْحَذَرُ

إِنِّي سَمِعْتُ رَجُلًا مِنْ ذَوِي رَحْمِي هُمُ الْعَدُوُّ بَطْهَرِ الْغَيْبِ قَدْ نَذَرُوا

أَنْ يَقْتُلُوكَ وَقَاكَ الْقَتْلَ قَادِرُهُ وَاللَّهُ جَارَكَ مِمَّا أَجْمَعَ النَّفَرُ⁽⁹⁶⁾

إن إشارة عمر بن أبي ربيعة إلى أن النساء اللواتي يتعامل معهن في غالب الأحيان بنات لأعدائه، أو زوجات لهم لاسيما في قصصه الغرامية -غريب مستهجن، والسؤال الذي يفرض نفسه هنا: لماذا يكون أهل صاحباته أعداء له؟! وقد رأينا معاصريه يمدحون أهل صاحباتهم، ويفتخرون بهم بأنهم من أصل عريق؛ لأن هذا مدح لصاحباتهم⁽⁹⁷⁾، أو على الأقل لا يأتون على ذكرهم.

إن صورة الآخر في شعر عمر ربما كشفت هي الأخرى عن انشغال عمر بالسياسة إلى حد كبير لكنه اختار لنفسه طريقة مغايرة عن طريقة كثير من المعارضين السياسيين الآخرين في التعبير عن إحساسه بظلم بني أمية، وبأحقيته هو وأفراد أسرته بالخلافة، أو على الأقل بالإمارة، وإلا فالحرب والثأر، ولكن بواسطة الشعر الذي يتغزل من خلاله بنسائهم.

رابعا- بين عمر بن أبي ربيعة وابن قيس الرقيات

هناك تشابه كبير بين عمر بن أبي ربيعة، ومعاصره، وابن بيئته زعيم الغزل السياسي ابن قيس الرقيات، فكلاهما حجازي ذاق من إهمال الأمويين للحجاز وأهلها كثيرا، كما عانيا من غزو الحجاز، وتقتيل أهلها، إلا أن ابن قيس الرقيات أصيب إصابة مباشرة، إذ قتل عدد من أفراد أسرته في وقعة الحرّة مما جعله أكثر وضوحاً ومجاهرة في عداوته للأمويين في مجال الغزل السياسي مما دفع عبد الملك إلى إهدار دمه. ولعل من أهم نقاط التشابه بين الشاعرين ما يأتي:

أولا- إن كلا الشاعرين تغزل بنساء بني أمية، وكلاهما أنطق المرأة الأموية، وجعلها رافضة لسلوك أهلها مع الشاعر، فصاحبة عمر تعترف له بالحب، والرغبة بالحديث معه، ومقابلته، وتعمل على إرضائه وتفديده، وتجعله أميراً مؤمراً، وتحذره من الأعداء من أهلها، أو ممن هم حولها بشكل عام الذين يريدون إيذاء الشاعر كما رأينا من قبل، بينما لا نجد أن موضوع الإمارة يشغل بال ابن قيس الرقيات، فقد كان يريد الخلافة لمصعب ابن الزبير صراحة، فهو يمدحه ويدافع عن حقه فيها، وقد بقي إلى جانبه حتى قتل، لكنه هو الآخر أنطق الفتاة الأموية بمسؤولية أهلها عما حدث في الحجاز، من تقتيل أهلها، وتفريق قريش، وتقطيع أرحامها، وهي تبدو متعاطفة مع الشاعر وترغب بمساعدته. قال على لسانها:

وَقَالَتْ لَوْ أَنَا نَسْتَطِيعُ لَزَارَكُمُ طَبِيبَانِ مِنَا عَالِمَانِ بِدَائِكَا

وَلَكِنْ قَوْمِي أَحْدَثُوا بَعْدَ عَهْدِنَا وَعَهْدُكَ أَضْغَانًا كَلِفَنَ بِشَانِكَا

تُذَكِّرُنِي قَتْلِي بِحَرَّةٍ وَأَقِمِ أَصِيبْتُ وَأَرْحَامًا قُطِعْنَ شَوَابِكَا⁽⁹⁸⁾

ثانيا- كلا الشاعرين تحدّث عن علاقات مادية مع نساء الأمويين إلا أنّ ابن قيس الرقيات كان حريصاً على تبرئة الفتاة الأموية من كل ما يمكن أن يجرحها؛ لذا غالباً ما كان يسارع في نهاية قصته إلى التأكيد بأنّ القصة كانت من باب الرؤية فقط، وليس من باب الحقيقة، فالفتاة ما زالت قرشية قريبة الشاعر، ولعل هذا هو السبب في محافظته عليها، فهو يريد الانتقام من أهلها ليس غير. أما عمر بن أبي ربيعة فلم يفعل ذلك؛ ربما لأنّ ابن أبي ربيعة لم يكن في صراحته ووضوحه كابن الرقيات الذي كان يصرّح بأن الفتاة أموية علنا ودون أدنى مواربة، أو لعل عمر بن أبي ربيعة لم تكن تشغله تبرئة الفتاة بقدر ما كان منشغلاً بإبراز ذاته، والانتقام من الأمويين بغض النظر عن الثمن الذي تدفعه المرأة الأموية في سبيل ذلك.

ثالثا- كلا الشاعرين صور المرأة راضية عما يقال فيها من شعر؛ إلا أنّ عمر كان أكثر تأكيداً لهذا من ابن قيس الرقيات، وأكثر تركيزاً على هذا الجانب في شعره، أما ابن قيس فيكفي أن نعرف أنّ أم البنين التي تغزل فيها غزلاً تسبب في إهدار دمه هي التي توسّطت له عند عمها عبد الملك بن مروان كي يعفو عنه، وقد فعل، ولعل هذا يصوّر رغبة النساء في ذلك الزمن في التقرب من الشعراء؛ ليقولوا فيهن شعراً، فيزيد في رفعة شأنهن، ويُشهرهن، فالشعر ربما كان بمثابة وسائل الإعلام في هذا الزمان.

رابعا- تشابه كلا الشاعرين في معالجة موضوع الغزل، وشيوع قصص الغرام في شعرهما من ذلك قول عمر في أم البنين:

وَلَسْتُ بِنَاسٍ طَوَالَ الْحَيَا ةٍ لَيْلَتَنَا بِكَثِيبِ الْغَدْرِ
وَلَا قَوْلَهَا لِي إِذْ أَقْبَنْتُ بِمَا قَدْ أُرِيدُ بِهَا اسْتَقْرَ⁽⁹⁹⁾

أما ابن الرقيات فقال فيها:

إِلَى أُمِّ الْبَنِينِ مَتَى يُقَرِّبُهَا مُقَرَّبُهَا
أَتَتَنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ تَ هَذَا حِينَ أَعْقَبَهَا

ويختتم مغامرته العاطفية معها بتبرئتها مما يمكن أن يثير فيها الشبهة بقوله:

فَكَانَتْ لَيْلَةً فِي النَّوْ مَ نَسْمُرُهَا وَنَلْعَبُهَا⁽¹⁰⁰⁾

خامسا- كلا الشاعرين استخدم أسلوب السخرية من رجال الفتاة. قال عمر بن أبي ربيعة:

حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى الْفَتَاةِ وَإِنَّهَا لَتَغْطُ نَوْمًا مِثْلَ نَوْمِ الْمُنْهَجِ
وَإِذَا أَبُوهَا رَاقِدٌ وَعَبِيدُهُ مِنْ حَوْلِهَا مِثْلَ الْجَمَالِ الْهَرَجِ

فوضعتُ كفي عند مقطعِ خصرِها فتنفستُ نفساً فلم تتلهَّجْ⁽¹⁰¹⁾

وقال ابن قيس:

وَمِثْلُكَ قَدْ لَهَوْتُ بِهَا	تَمَامُ الْحُسْنِ أَعْيَبُهَا
لَهَا بَعْلٌ غَيُورٌ قَا	عَدُّ بِالْبَابِ يَحْجُبُهَا
يِرَانِي هَكَذَا أَمْشِي	فَيُوعِدُهَا وَيَضْرِبُهَا
ظَلَلْتُ عَلَى نَمَارِقِهَا	أَفْدِيَهَا وَأَخْلُبُهَا ⁽¹⁰²⁾

لقد كان والد صاحبة عمر الراقد بين عبيده يغط في نومه، إشارة إلى أنه يعيش في غفلة تامة عما يدور في بيته، وعمر يستغل غفلته هذه، فيدخل بحرية إلى الفتاة، أما زوج صاحبة ابن قيس الرقيات، فهو يعيش تحت تأثير حالة من الغيرة الشديدة لكنه عاجز عن حماية زوجته، فهو لا يقدر إلا على حجبها، وضربها ووعيدها، فالشاعران استطاعا الوصول إلى صاحبيتهما، والقيام بمغامرتهم معهما، وفي هذا مزيد من التحدي والسخرية والتبكيت لمحارم المرأتين مما يؤكد أن هذه المرأة لم تكن المرأة الحبيبة التي تعودنا أن نراها في الشعر العربي.

ولعل قصيدة عمر بن أبي ربيعة التي ذكرت الروايات أنه قالها في فاطمة بنت عبد الملك تؤكد هذا التشابه الكبير بين الشاعرين. قال:

يا خَلِيلِي هَا جَنِي الذَّكَرُ	وَحُمُولُ الْحَيِّ إِنْ صَدَرُوا
ضَرَبُوا حُمَرَ الْقِيَابِ لَهَا	وَأُحِيطَتْ حَوْلَهَا الْحَجَرُ
فَطَرَقْتُ الْحَيَّ مُكْتَتِمًا	وَمَعِيَ عَضْبٌ بِهِ أَثَرُ
فَإِذَا رِيْمٌ عَلَى مُهْدٍ	فِي حِجَالِ الْخَرِّ مُسْتَتِرُ
بَادِنٌ تَجْلُو مَقْلَجَةً	عَذْبَةً غَرًّا لَهَا أَشَرُ
حَوْلَهُ الْأَحْرَاسُ تَرْقُبُهُ	نَوْمٌ مِنْ طُولِ مَا سَهَرُوا
أَشْبَهُوا الْقَتْلَى وَمَا قَتَلُوا	ذَاكَ إِلَّا أَنَّهُمْ سَمَرُوا
فَدَعَتْ بِالْوَيْلِ ثُمَّ دَعَتْ	حِينَ أَدْنَانِي لَهَا النَّظَرُ
وَدَعَتْ حَوْرَاءَ أَنْسَةٍ	حُرَّةً مِنْ شَأْنِهَا الْخَفَرُ
ثُمَّ قَالَتْ لِلَّتِي مَعَهَا	وَيْحَ نَفْسِي قَدْ أَتَى عُمَرُ

مَا لَهُ قَدْ جَاءَ يَطْرُقَنَا وَيَرَى الْأَعْدَاءَ قَدْ حَضَرُوا
لِشَقَائِي أُخْتُ عَلَقْنَا وَلِحَيْنِ سَاقَهُ الْقَدَرُ⁽¹⁰³⁾

إن أهمية هذه القصيدة تكمن في أنها قيلت في فاطمة بنت عبد الملك كما ذكرت كثير من الأخبار⁽¹⁰⁴⁾، وفيها تتجلى كل العناصر التي كان عمر بن أبي ربيعة يتناولها في قصيدة الغزل السياسي، فقد بدأها بالحديث عن الحب والهوى، ثم انتقل للحديث عن صفاتها، وبعدها أشار إلى أهمية أسرتها ومكانتها، (ضربوا حمر القباب لها، وحولها الأحراس ترقبها....)، وبعد ذلك بدأ بسرده قصته الغرامية المعهودة بكل تفاصيلها، فقد أخذ الحيلة والحذر، فبعد أن امتشق سيفه، وضمن الصديق المخلص تسلل إلى بيتها، والإشارة إلى عنصر المفاجأة بالنسبة للفتاة عند دخوله فجأة عليها، ثم التأكيد على أنها حرة، والإشارة إلى وجود أعدائه من حولها كما جاء على لسانها.

إن هذا التشابه بين شعر عمر بن أبي ربيعة وزعيم الغزل السياسي ابن قيس الرقيات معاصره وابن بيئته يمكن أن يؤكد أن غزل عمر يندرج في باب الغزل السياسي الذي أوضح من خلاله وجود أزمة سياسية عميقة عانى منها الشاعر كثيرا، فعبر عنها بهذا النوع من الشعر.

الخاتمة

وبعد، فإن قارئ غزل عمر بن أبي ربيعة يمكن أن يفهمه بالطريقة التي تناقلها عدد من الدارسين في إطار ما شاع عنه من حب اللهو، وانفتاح العلاقة بين الرجل والمرأة في الحجاز، وانتشار فن الغناء، فكان خياره هذا النوع من الغزل الذي يتناسب مع شخصيته، ومع المرحلة الجديدة في العصر الأموي مع التحفظ على قدر كبير من المبالغات التي قيلت عن حرية المرأة الحجازية، وحرية العلاقات، ويمكن قراءته في باب النرجسية بسبب ما كان يملكه عمر من صفات جسدية واجتماعية، مما أوجد عنده غرورا كبيرا، وإعجابا بالنفس مبالغاً فيه كما أشار عدد آخر من الدارسين، كما يمكن قراءته قراءة سياسية، ولعلها أنسب القراءات لطبيعة العصر، فقد كان عمر بن أبي ربيعة كارها للأمويين وسياستهم، فأراد النيل منهم بوساطة التغزل بنسائهم بما أرى أن يسمى بالغزل السياسي الذي يقصد به هجاء الخصوم السياسيين وغيظهم، وذلك بالتشبيب بنسائهم، وقد شاع هذا الغزل وانتشر في الحجاز بصورة خاصة في العصر الأموي، إلا أن عمر لم يكن واضحا في تحديه للنسق السياسي مثل وضوح ابن قيس الرقيات، ربما تقيّة من عقاب الأمويين، أو لأن العداوة لم تصل بينه وبينهم إلى المدى الذي وصلت إليه بين الأمويين وبين ابن قيس الرقيات .

ومما يؤكد هذا الرأي شواهد من شعر عمر نفسه كالجمع بين الفخر بالأهل والجدود والغزل، وبيان ما حلّ بهم من قتل على أيدي الأمويين، والإشارة إلى تفرّق قريش محملاً الأمويين مسؤولية ذلك من خلال تركهم لديارهم، وعدائهم لأهل الحجاز، ثمّ وجود مظاهر كثيرة في غزله تشي بهذا التفسير منها: القصة الغرامية التي تكررت في شعره، بكل ما فيها من عناصر مثل طريقة دخوله إلى بيت صاحبتّه، واتخاذهِ كلِّ وسائل الحيلة والحذر، وامتشاق السيف، ومساندة الصديق المخلص، ورضى الفتاة عن هذه الزيارة رغم عنصر المفاجأة، وخوف الفضيحة، وانتهاء القصة بخروجه منتصراً وكأنّه قد حقق غايته ومراده، وهو في هذا كله يكون قد خالف الموروث الشعري المتعلق بقصة الحب بين الرجل والمرأة .

إنّ هذا التفسير لا يمنع من القول بأنّ عمر بن أبي ربيعة كان لاهياً، وأنّ المرأة الحجازية قد نالت قسطاً من الحرية لم تتوافر لغيرها من النساء في بيئات الشعر الأموي الأخرى؛ مما دفعها للهو أحياناً، ولعل الظروف السياسية السائدة آنذاك هي التي دفعت نساء الحجاز ورجالها إلى هذا اللهو في إطار الهروب ونسيان ما أصاب الحجاز وأهلها من إهمال وقتل واضطهاد، لكن هذا كله لم يصل إلى الحد الذي قال به دارسو شعر عمر بن أبي ربيعة مما يمكن أن يسمح بهذه المغامرات العاطفية، وبالتالي فإنّ تفسير شعر عمر في إطار الغزل السياسي ربما كان أكثر صدقاً ومنطقية في التعبير عن العصر الأموي وما واجهه من صراعات سياسية.

Political Interpretation of Omar bin abi Rabi'a's Poetry: New Reading

Amal Nusair, Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

Abstract

This study attempts to give a new analysis of courting used by Omar Bin Abi Rabee'ah. The study concludes that the courting used by Abi Rabee'ah is a political one that had been used to offend political foes through wooing their women. This type of courting was popular in Hijaz since pre-Islamic era, continued during Prophet Muhammad's era and spread widely during the Umayyad period especially in Abdel Rahman bin Thanbet and Ibin Qais Al Ruqaiat's works.

There are many reasons that has led me to reach this conclusion most importantly is the political scene in Hijaz in that period, the political history of Omar's family, and his refusal of using what has been thought then as the typical

political poetry. He also uses repetition of detailed wooing scenes and phrases to describe the state, women of the Court, scandal, in addition to the resemblance between his poetry and that of Ibin Qais al Ruqaiat.

I have analysed Omar's poetry from four angles. First, the political scene of Hijaz, second, Omar's Self, third is Omar and the Other and finally I have compared between his poetry and Al Ruqaiat's.

Omar's poetry can be read in different ways but reading it from the perspective of political courting is the closest to the nature of the Umayyad period.

وقبل للنشر في 2006/7/27

قدم البحث في 2006/2/7

الهوامش

- 1- (1976) 1 :251.
- 2- :252.
- 3- ابن أبي ربيعة، عمر، شرح ديوانه، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (لبنان، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، د.ت)، ص: 328. وهو التحقيق المعتمد في كل البحث ما لم ترد الإشارة إلى تحقيق آخر.
- 4- الطبري، أبو جعفر بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (سوريا، دار الفكر، دمشق، 1979)، انظر أحداث سنة 63هـ، ج7، ص: 10 وما بعدها.
- 5- ابن سلام، محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء تحقيق محمود محمد شاكر، (مصر، مطبعة المدني، القاهرة، 1974)، ج1، ص: 89. وانظر ثابت، حسان بن ثابت، ديوانه، تحقيق وليد عرفات، (طباعة أمناء سلسلة جب التذكارية، لندن، 1971)، ج1، ص: 239. وكذلك: الخطيم، قيس بن الخطيم، ديوانه، تحقيق ناصر الدين الأسد، (لبنان دار صادر، بيروت، 1978)، ص: 66.
- 6- الأصفهاني، أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، (مصر، دار الكتب، القاهرة، 1963)، ج15، ص: 106.
- 7- عبد الرحمن إبراهيم عبد الرحمن، عبيد الله بن قيس الرقيات، حياته وشعره، د.م، 1970، ص: 172 وما بعدها.
- 8- الرقيات، ابن قيس الرقيات، ديوانه، تحقيق: محمد يوسف نجم، (لبنان، دار صادر، بيروت، 1970)، ص: 128-129.
- 9- انظر أخباره في الأغاني، ج1، ص: 408.
- 10- العرجي، ديوانه، شرح وتحقيق خضر الطائي، ورشيد العبيدي، (العراق، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر، بغداد، 1956)، ص: 17. المنضج: المحكم الوجده.

- 11- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد، (مصر، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1293هـ)، ج 2، ص: 25.
- 12- الأغاني، ج 1، ص: 64.
- 13- انظر الطبري: ج 5، أحداث سنة 46، ص: 128.
- 14- فلهوزن، يوليوس فلهوزن، تاريخ الدولة العربية، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، (مصر، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1958)، ص: 39.
- 15- الأغاني ج 3، ص: 33.
- 16- جبور، جبرائيل جبور، عمر بن أبي ربيعة، (لبنان، دار العلم للملايين، بيروت، 1971)، ج 2، ص: 21.
- 17- الأغاني، ج 1، ص: 409.
- 18- المصدر السابق، ج 1، ص: 409، وانظر كذلك: شقير، وليم نقولا شقير، العرجي وشعر الغزل في العصر الأموي، (لبنان، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1986)، ص: 416 وما بعدها، وص: 501.
- 19- انظر الأغاني، ج 1، ص: 4-5.
- 20- ديوانه، ص: 394-395.
- 21- فيصل، شكري فيصل، تطوّر الغزل بين الجاهلية والإسلام، (لبنان، دارالعلم للملايين، بيروت، 1986)، ص: 356.
- 22- ديوانه، ص: 433.
- 23- ربيعة، عمر بن أبي ربيعة، ديوانه، تحقيق: فوزي عطوي، (لبنان، دار صعب، بيروت، 1980)، ج 1، ص: 122.
- 24- ديوانه، ص: 94.
- 25- المصدر السابق، ص: 379-380.
- 26- القط، عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي، (لبنان، دار النهضة العربية، بيروت، 1987)، ص: 227.
- 27- ديوانه، ص: 101-102.
- 28- انظر كتاب: الزير، محمد بن حسن الزير، الحياة والموت في الشعر الأموي، (دار أمية، الرياض، 1989)، ص: 532.
- 29- ديوانه، ص: 430.
- 30- المصدر السابق، ص: 428. وانظر كذلك الصفحات: 107، 121، 152، 168، 202، 285.
- 31- نفسه، ص: 415.

- 32- نفسه، ص: 435. وانظر كذلك الصفحات: 181، 183، 415.
- 33- زراقات، عبد المجيد زراقات، الشعر الأموي بين الفن والسلطان، (لبنان، دار الباحث، بيروت، 1983)، ص: 202.
- 34- ديوانه، ص: 319.
- 35- المصدر السابق، ص: 119-120.
- 36- نفسه، ص: 146.
- 37- نفسه، ص: 426.
- 38- انظر ديوان كثير عزة، جمع وتحقيق: إحسان عباس، (لبنان، دار الثقافة، بيروت، 1971)، ص: 187، و200، و405، و467. وانظر: ديوان جميل بثينة، جمع وتحقيق: أميل بديع يعقوب، (لبنان، دار الكتاب العربي، بيروت، 1992)، ص: 71، 25. وديوان ذي الرمة، تحقيق عبد القدوس أبو صالح، (لبنان، مؤسسة الرسالة بيروت، 1993)، ج1، ص: 54. وعروة بن أذينة، تحقيق: يحيى الجبوري، (الكويت، دار القلم، الكويت، 1981)، ص: 174، وديوان المتوكل الليثي، تحقيق يحيى الجبوري، (العراق، مكتبة الأندلس، بغداد، 1972)، ص: 138 و139.
- 39 - عمر بن أبي ربيعة، ج3، 361.
- 40- العرجي وشعر الغزل في العصر الأموي، ص: 734.
- 41- حديث الأربعاء، ج1، ص: 296.
- 42- المصدر السابق، ج1، ص: 184.
- 43- ضيف، شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، (مصر، دار المعارف، القاهرة، 1959)، ص: 234.
- 44- ديوانه، ص: 93.
- 45- المصدر السابق، ص: 96.
- 46- في الشعر الإسلامي والأموي، ص: 174 وما بعدها.
- 47- المصدر السابق، ص: 195.
- 48- تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، ص: 404.
- 49- الحياة والموت في الشعر الأموي، ص: 526.
- 50- انظر على سبيل المثال لا الحصر: المصدر السابق، ص: 523.
- 51- ديوانه، ص: 161.
- 52- المصدر السابق، ص 441-442.

- 53- تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، ص: 404، وانظر كذلك ديوانه، ص: 100.
- 54- الشعر الأموي بين الفن والسلطان، ص: 226.
- 55- ديوانه، ص: 430-431.
- 56- المصدر السابق، ص: 319.
- 57- نفسه، ص: 468.
- 58- نفسه، ص: 429.
- 59- نفسه، ص: 416.
- 60- نفسه، ص: 381.
- 61- ديوانه، تحقيق : فوزي عطوي . ص: 14.
- 62- ديوانه، ص 364 .
- 63- انظر ديوان ابن قيس الرقيات، ص: 122.
- 64- ديوانه، ص: 337.
- 65- المصدر السابق، ص: 487
- 66- نفسه، ص: 494
- 67- نفسه، ص: 205
- 68- انظر كتاب عمر بن أبي ربيعة، ج 3، ص: 430.
- 69- تطوّر الغزل بين الجاهلية والإسلام، ص: 357-358.
- 70- انظر الحياة والموت في الشعر الأموي، ص: 532.
- 71- ديوانه، ص: 97.
- 72- المصدر السابق، ص: 132.
- 73- نفسه، ص: 490.
- 74- الأغاني، ج 15، ص: 7-8.
- 75- ديوانه، ص: 141.
- 76- المصدر السابق، ص: 489.
- 77- نفسه، ص 114-116.
- 78- تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ص: 354.
- 79- انظر الصفحات زوات الأرقام: 114-115 ، 122، 149، 177، 202، 263، 363.....

- 80- في الشعر الإسلامي والأموي، ص: 174- 192.
- 81- الأغاني، ج1، ص: 72.
- 82- المصدر السابق، ج1، 74.
- 83- نفسه، ج1، 118.
- 84- نفسه، ج1، ص: 81.
- 85- نفسه، ج1، ص: 108.
- 86- نفسه، ص: 101.
- 87- نفسه، ص: 98.
- 88- نفسه، ص: 99.
- 89- نفسه، ص: 100.
- 90- الحياة والموت في الشعر الأموي، ص: 529 وما بعدها ..
- 91- ديوانه، ص: 467.
- 92- المصدر السابق، ص: 415.
- 93- نفسه، ص: 99.
- 94- نفسه، ص: 131.
- 95- انظر ديوان ابن قيس الرقيات ، ص: 129.
- 96- ديوانه، ص: 113.
- 97- انظر ديوان معن بن أوس، تحقيق : نوري حمودي القيسي، وحاتم الضامن، (العراق، وزارة الثقافة، بغداد، 1977)، ص: 28، و40، وكذلك ديوان العرجي: 51-52، وديوان المتوكل الليثي، ص: 174، و 191.
- 98- ديوان ابن قيس الرقيات، ص: 129.
- 99- ديوانه، ص: 176- 177.
- 100- ديوان ابن قيس الرقيات، ص: 121- 123.
- 101- ديوانه، ص: 488.
- 102- ديوان ابن قيس الرقيات، ص: 122.
- 103- ديوانه، 158-161.
- 104- انظر الأغاني، ج1، ص: 190، وما بعدها.
- المصادر والمراجع

- إبن أبي ربيعة، عمر، ديوانه، تحقيق: فوزي عطوي، (لبنان، دار صعب، بيروت، 1980).
- إبن أبي ربيعة، عمر، ديوانه، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، (لبنان، دار الأندلس، بيروت، د.ت).
- إبن الخطيم، قيس، ديوانه، تحقيق ناصر الدين الأسد، (لبنان، دار صادر، بيروت، 1978).
- إبن أوس، معن، ديوانه، تحقيق: نوري حمودي القيسي وحاتم الضامن، (العراق، وزارة الثقافة، بغداد، 1977).
- ابن ثابت، حسان، ديوانه، تحقيق وليد عرفات، (لندن، طباعة أمناء سلسلة جب التذكارية، لندن، 1971).
- ابن سلام، محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، (مصر، مطبعة المدني، القاهرة، 1974).
- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، العقد، (مصر، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1293هـ).
- جبور، جبرائيل، عمر بن أبي ربيعة، (لبنان، دار العلم للملايين، بيروت، 1971).
- حسين، طه حسين، حديث الأربعاء، (مصر، دار المعارف، القاهرة، 1976).
- زو الرمة، غيلان بن عقبة، ديوانه، تحقيق عبد القدوس أبو صالح، (لبنان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993).
- الرقيات، ابن قيس، ديوانه، تحقيق: وشرح محمد يوسف لنجم، (لبنان، دار صادر، بيروت، 1970).
- زراقت، عبد المجيد، الشعر الأموي بين الفن والسلطان، (لبنان، دار الباحث، بيروت، 1983).
- الزير، محمد بن حسن، الحياة والموت في الشعر الأموي، (السعودية، دار أمية، الرياض، 1989).
- شقيير، وليم نقولا، العرجي وشعر الغزل في العصر الأموي، (لبنان، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1986).
- ضيف، شوقي، التطور والتجديد في الشعر الأموي، (مصر، دار المعارف، القاهرة، 1959).
- ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، (مصر دار المعارف، القاهرة، 1963).
- الطبري، أبو جعفر بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، (سوريا، دار الفكر، دمشق، 1979).
- عباس، إحسان، كثير عزة، (جمع وشرح) (لبنان، دار الثقافة، بيروت، 1971).
- عبد الرحمن، إبراهيم، عبيد الله بن قيس الرقيات، حياته وشعره، (د.م، 1970).

- العرجي، ديوانه، شرح وتحقيق خضر الطائي، ورشيد العبيدي، (العراق، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر، بغداد ، 1971).
- عمارة، السيد أحمد، الحوار في القصيدة العربية إلى نهاية العصر الأموي، (مصر، التركي للطباعة، طنطا، 1993).
- فلهوزن، يوليوس، تاريخ الدولة العربية، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، (مصر، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1958).
- فيصل، شكري، تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام، (لبنان، دار العلم للملايين، بيروت، 1986).
- القط، عبد القادر، في الشعر الإسلامي والأموي، (لبنان، دار النهضة العربية للنشر، بيروت، 1987).
- الليثي، المتوكل، شعره، تحقيق: يحيى الجبوري، (العراق، مكتبة الأندلس، بغداد، 1972).
- نصير، أمل، صورة المرأة في الشعر الأموي، (لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2000).

